

عبدالله فرج الزامل المحرري

المدينة المنورة

عاداتها وتقاليدها
منذ عام ٩٢٥ حتى عام ١٤٠٩ هـ



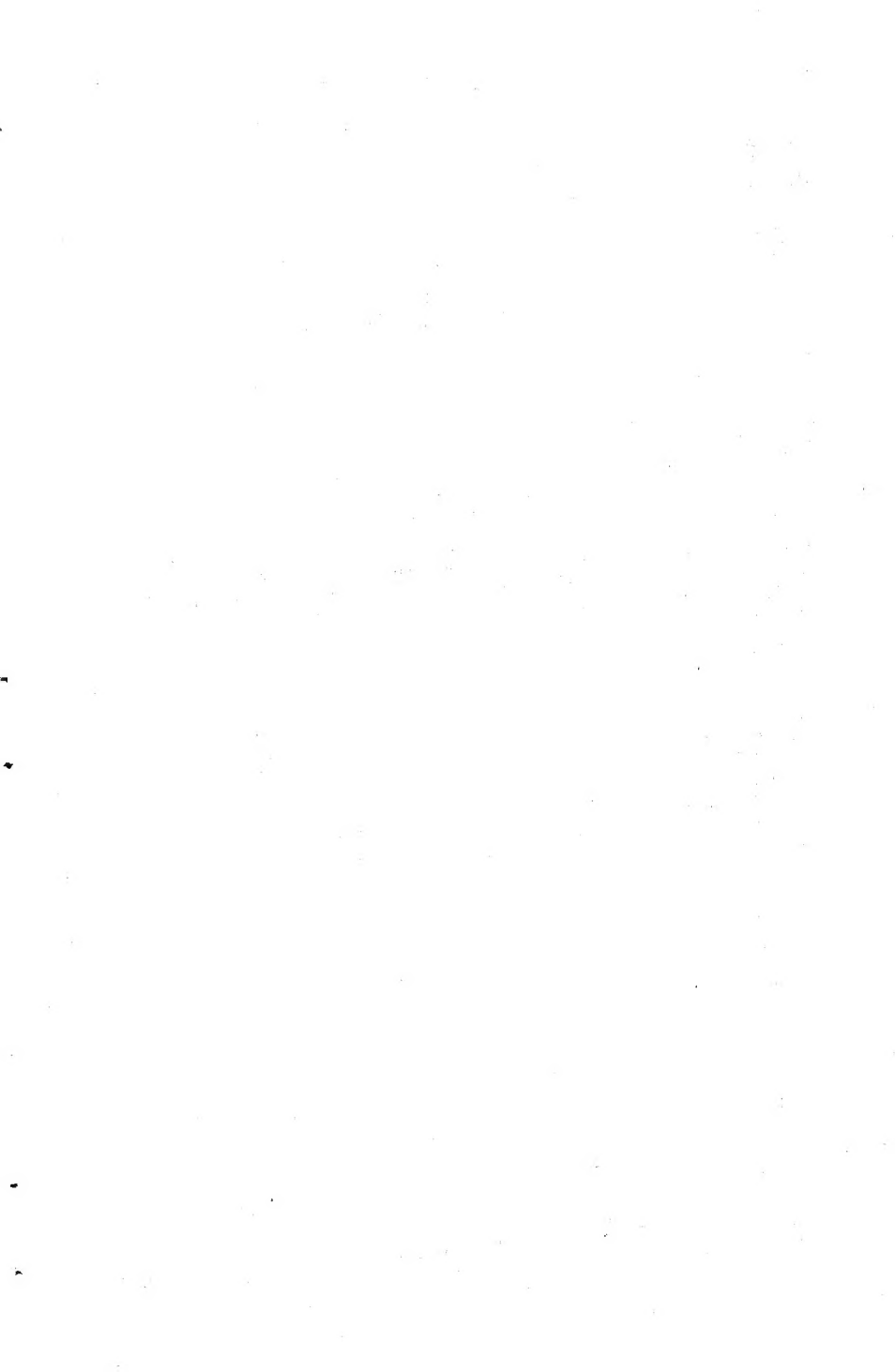
مطبوعات
PUBLICATIONS



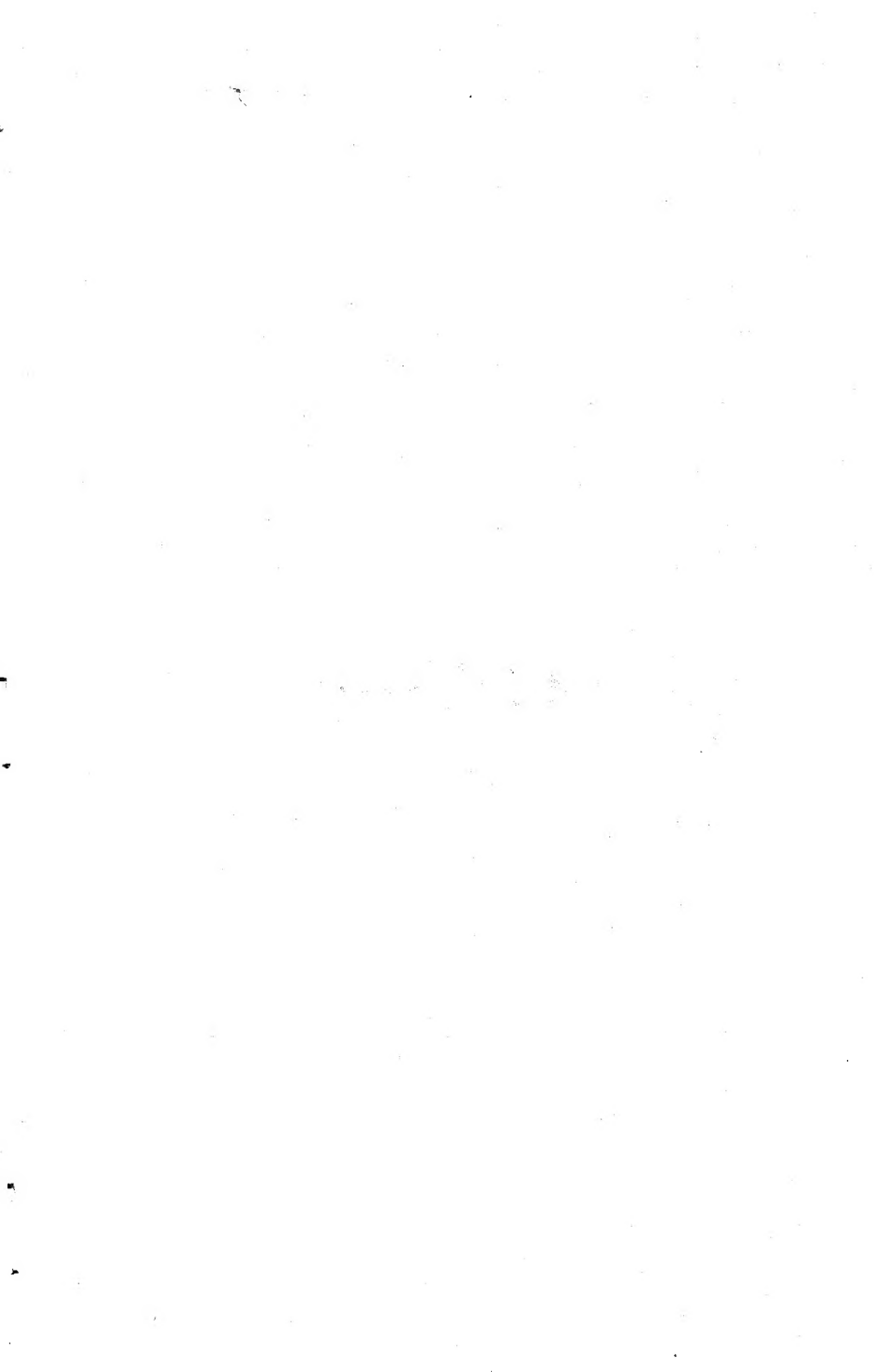
الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

جدة - المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم



الناشر

تهامه

جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب. ٥١٥٥ - هاتف ٦٥٤٤٤٤

١٤١١هـ - (١٩٩١م)

تهامة للنشر
TINAMA PUBLICATION

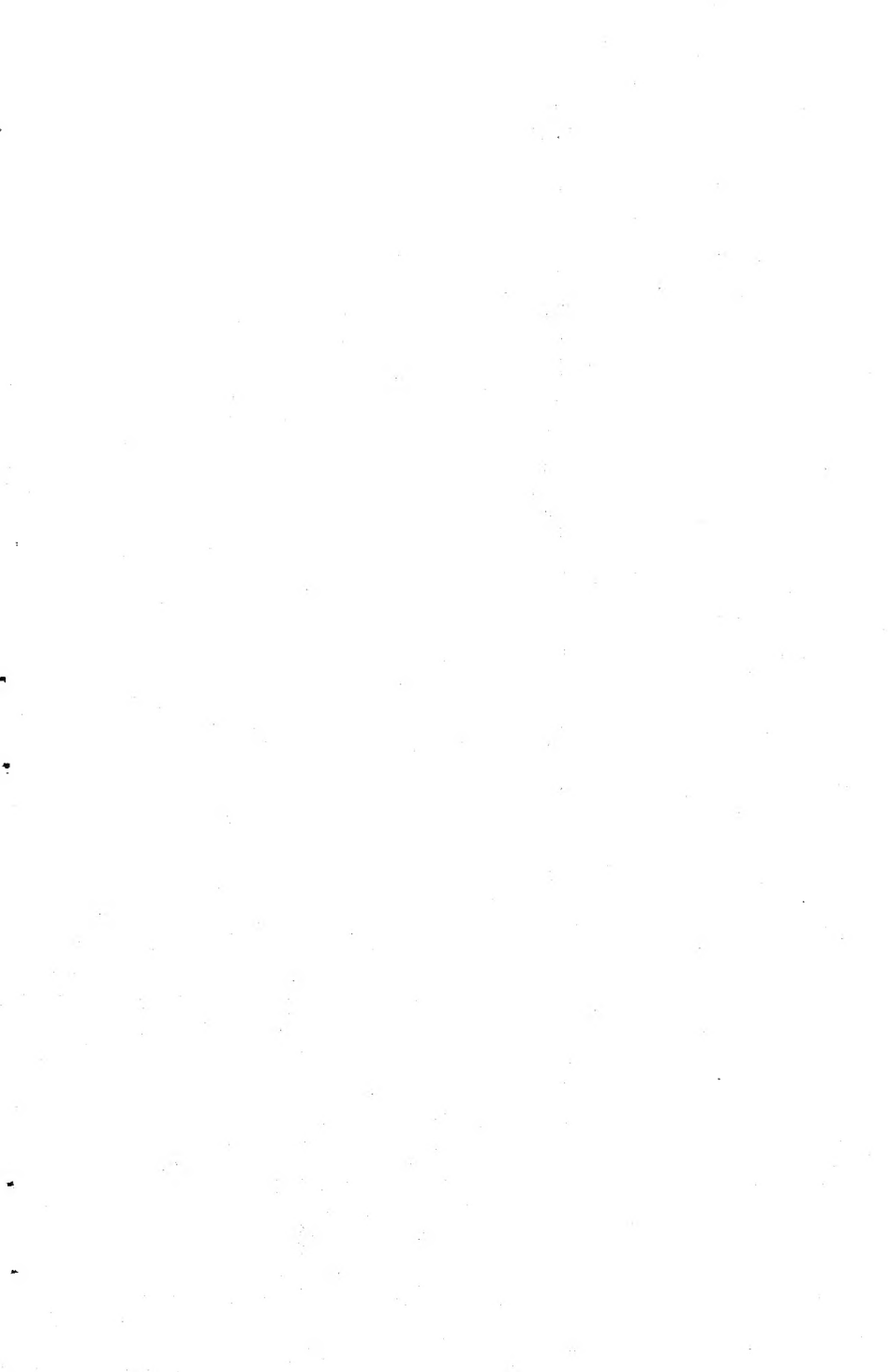


جميع حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة. غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب ، أو تخزينه في أي نظام لحزن المعلومات واسترجاعها ، أو نقله على أي هيئة أو بآية وسيلة ، سواء كانت إلكترونية أو شرائط مخزنة ، أو ميكانيكية ، أو استساخا أو تسجيلا ، أو غيرها ، إلا بإذن كتابي من صاحب حق النشر.

عبدالله قريش الواسل الخوري

المدينة النورة

عاداتها وتقاليدها
منذ عام ١٢٥٠ حتى عام ١٤٠٩ هـ



مقدمة:

قارني العزيز

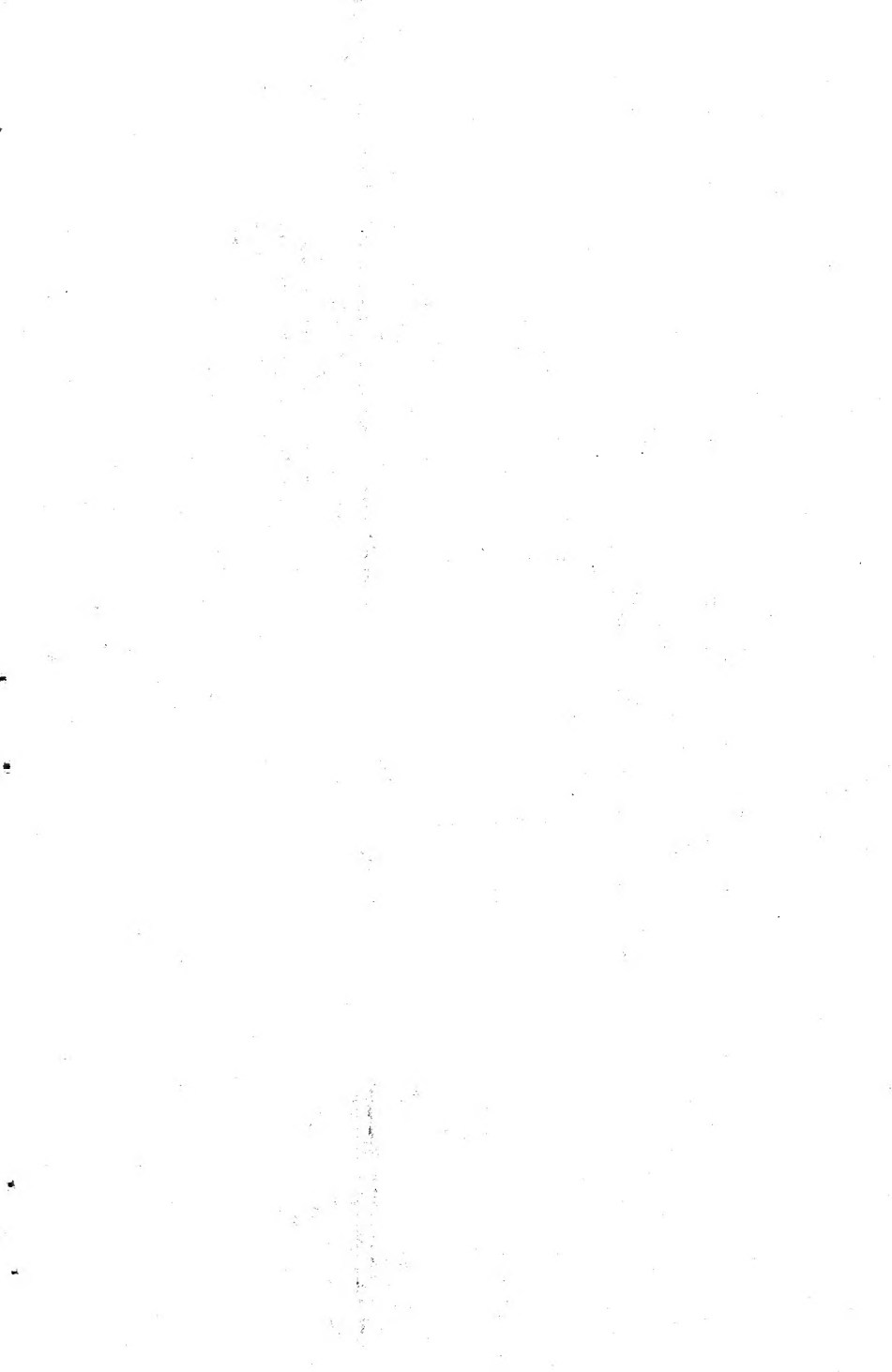
سلام الله عليك ورحمته وبركاته وبعد

اقدم إليك ثمرة بحث عن واقع المدينة المنورة في تراثها الخالد وعادات
الأجداد وعما كانوا عليه من طيبة وخلق وحسن جوار مؤملاً أن ينال رضاك
واعجابك

واسه وراء القصد

المؤلف

المدينة المنورة في ٢٠/١٠/١٤٠٩هـ



حالة المدينة المنورة اليومية

وكانت حجرها وقاياها ومجالسها ودقيساتها قد فُصّلت على حالة جو المدينة في الصيف والشتاء - و «القاعة في كل دار عبارة عن مجلس كبير بدكتين وديوان ومخزن يضم: حاجات ساكنها».

ويوجد في كل دار بئريعلوه بكرة من الحديد، معلقة في سقف البئري سحب عليها حبل علق في نهايته دلو صنع من جلد الماعز وضع على فتحته صليب من خشب الأثل ربط في وسطه طرف الحبل من الأدنى لتجذبه البكرة إلى أعلى، بعد أن يهوى إلى البئر ويصعد ممثلاً بالماء.

وفي كل دار في الأحوشة توجد هذه البئر وقد فرشت رحبتها مما يلي حلقة البئر فرشاً بالحجر الأسود المطعم بالنورة المحروقة والرملة المخمرة مزج بعضها ببعض وكحل به ذلك الفرش الحجري وقد ليسّ بالنورة، بعض الموسرين جدران تلك الدور من الداخل:

في المنزل والسوق

وكانت شوارعها متقاربة البناء كشوارع الحدة الرئيسي وشارع الساحة وشارع دارجونه ، وشارع الحمامة . وشارع الضيافة أما أزقتها فكانت مساحة شوارعها ضيقة بحيث لا يفصل بين النافذة الشمالية والنافذة الجنوبية المقابلة لها غير متر والبعض متر ونصف جعلت خصيصاً لمساعدة «ربات البيوت في ذلك العصر، وذلك عندما تحتاج المرأة في حال غياب زوجها في عمله إلى ملح، أو كبريت أو أي شيء، صفقت بكلتا يديها فتلبي الجارة طلبها وتعطيها ما طلبت، مناوله باليد».

حالة المحينة المنورة المعمارية

احاط بالمدينة المنورة سور من الحجر الأصم أمر ببنائه الخليفة العباسي في سنة ٥٤٥هـ - وقد جددته في سنة ٥٤٦ جمال الدين الأصمهايي - يضم خلفه عدة حوارٍ مكتظة بالسكان وهي «حارة الساحة، وحارة الأغوات، وحارة دروان، ودار الضيافة وكومة حشيفة، وحي دارجونة، والحماطة، والشونة» وكل حارة من هذه الحواري تضم أحواشا عديدة مليئة بالدور الأهلة بالسكان مثل: حوش الجمال، وحوش الباشا، وحوش المرروقي، وحوش الرمادي، وحوش الحمزاوي، وحوش الخمارة وسقيفة الأمير، وزقاق المحكمة وزقاق سيدنا مالك، وزقاق سيدنا عبدالله. وكلها أدخلت ضمن مشروع توسعة الحرم النبوي الشريف.

وقد رفعت تلك الدور إلى طابق وطابقين وأكثر، عدا دور محلة الشونة. وسقيفة بني حسين: وسوق الحدره فدورها أقيمت بالحجر والطوب الأحمر المحروق وبعض اللبن والطين على غرار بناء دورها الآخر.

وكان أهل المدينة من عهود خلت لهم عاداتهم وتقاليدهم توارثوها عن أسلافهم في «المأكل، والملبس، والزواج، وفي طلب المعيشة، وفي تجهيز أدوات المنزل، والخروج إلى الحرم، أو السفر إلى الحج وفي ختم القرآن، عندما يحفظه أولادهم وهي كثيرة ومتنوعة.

«أما الرجال» إذا انتهوا من صلاة الصبح بعد أدائها في المسجد النبوي الشريف فيذهبون إلى الفوال أو بائع الهريسة (١) والزلابية فابتاع أحدهم ما قدر عليه، ثم انطلق مبكراً إلى سوق الخضار وخان (٢) اللحم فاشترى طلبه منهما، مع الورد والنعناع والليمون وذهب بذلك إلى إهله وفطر معهم، ثم بعد ذلك ذهب إلى دكانه أو مبسطه مسترزقاً الله، وهي عادة مستمرة لدى التاجر وغيره كالقطنان. والنجار، والحجار، وصانع الفخار، وبائع الخشب، وصانع أسرة الجريد، وبائع السفر وأبسطة الخصف المصنوعة من سعف النخيل، التي طالما فرشوها تحت أبسطة مجالسهم لتكون عازلاً عن الرطوبة لكي لا تصل إلى أبسطتهم الصوفية التي تصنع في مدن الجنوب والشمال وتباع في سوق المدينة المنورة القابع أمام باب المصري خارج السور حيث يلتقى سكانها.



(١) الهريسة من أنواع الطعام يرمز باللحم ويسلط عليه النار مدة.

(٢) خان اللحم سوق الجزارة اليوم.

حالتها الاجتماعية

في علم ٩٢٥ هـ

لم يكن في دورها برادات لحفظ الماء المثلج بل كان رب الدار يذهب إلى السوق فيبتاع زيراً من الفخار وبعض القلل الشراب، وزيراً صغيراً من الفخار لتبريد الماء عند ترشيحه ويبتاع معها مرفعاً من الحديد لحمل الزير الصغير والقلل. وكان الضوء الذي شمل غرفهم إذا خيم الظلام ينبعث من قناديل أو لمبات من التنك ملئت بالزيت الأخضر، أو من شمع الكافور وذلك قبل ظهور «الكاز».

أما شوارعها فأضيئت بفوانيس مقببة علقت عند كل ناصية ومنعطف وضعها محتسب «المدينة المنورة».

أما مطابخ دورهم: فكانت تحتفظ بقدر وحلل من النحاس يوقد تحتها بفحم السمر أو الخشب العادي، وقد يحفظون الطعام بعد الانتهاء منه بعلاقة من الخوص صنعت خصيصاً لحفظ قدور الطعام، وضع في ذيلها شنكار معكوف يثبت في سقف الدار خوفاً من اعتداء «الهرة» أي «البسة» عليها والفيران، أما «الخبز» فتقوم ربة البيت بنخل دقيقه، ثم عجنه، ثم خبز به بعد وضع الخميرة فيه، ثم تقريصه ثم تسلمه بعض أولاد الجيران أو رب الدار ليذهب به إلى الفرن لخبزه.

أما ماء الشرب فيحضره السقاء من مناهل العين الزرقاء بقرية يحملها على ظهره ينطلق بها حيث يضع ماءها في الزير «الفخار» الذي أعد رب الأسرة لذلك، وبعد ملئه بالماء يغطي بعطاء من الخشب صنع عند النجار يتوسطه مقبض من الخشب لحفظ الماء مما يتناثر عليه من سقف الدار، أو من بصاق الوزغ.

وفي كل دار جعلت رحي من الحجر الأحمر أو الأسود والأصم لطحن الحبوب، وكان سكان تلك الدور، أسرة واحدة يضمهم حوش واحد يتفقد الجار جاره في عسر وسرور، ومتى غاب أحدهم ولم يرد في يومه، سأل عنه فإن وجد بخير حمد الله وإن علم بمرضه ساعده وقام بإحضار كل ما يطلب أهله من لوازم البيت وللأرملة

والعاجز، واليتيم فيهم نصيب وافر من العطف البدوي والحنان في أيام الأعياد (١) وغيرها. يقدم لهم كل ما يؤمن به معيشتهم من تمروسمن وجبن ودقيق وملابس وأغطية، وكانت الرحمة ما خلت من قلوبهم، وإن وقع جاره في مصيبة وقف معه بالكيس والنفس إن كان مظلوماً وأساء وإن كان ظالماً نهاه ونصحه.

أما «النساء» في حالة غياب أزواجهن في طلب المعيشة فيجتمعن مع بعضهن البعض اجتماعاً محبوباً بريئاً، وأحياناً قد يساعدن بعضهن في تنظيف الملوخية وتنظيف حزم اللفت وتقطيع الخضرة وتجهيز الطعام.

أما الرجال، فكل في عمله، فالحذّاد في حدادته منهمك في صنع الملاقيط، والمجامر، والمناقل، والمجاريف الزراعية، وأحذية الخيل، والبغال والحمير، وفي عمل «الحلق واطداد الخيام»، ومرافع الأزيار والشراب، والمساحى، والفواريع و«العتل».

والقفاص: يذهب لسوق الجريد والطفراء، الكائن في درب الخبائز، فيحضره ربطة أوربطين من الجريد ليصنع منها الأسرة للعرائس، وأقفصة لحفظ الدجاج وبعض الطيور وقفصاً مربعاً لحفظ المواعين أو الملابس بعد غسلها.

أما النجار: فيقوم بصنع الدواليب والنمليات من خشب الأثل وصناديق السيسب المطعمة بالنجوم ومسامير من الصفر وقد يتفنن المعلم بعمل ادراج لحفظ المصاغ وحجج الملك داخل الصناديق وتحتها، أو يصنع المشربيات الزاهية بورود منحوتة في الخشب.

(١) إذا أسفر فجر يوم العيدين من كل عام فتحت أبواب الدور في المدينة المنورة وتزاوروا حتى لو كان بينك وبين جارك عداوة انتهت في المعايمة.

والقطان: يقوم بعمل اللحف والمساند والمراتب والدفاعيات والمطارح والركانات، البعض من الطرف، وهو نبت يحضره البدو، من الخلاء حيث يوجد نبتة في طريق السيول. أو من القطن المستورد من الشام أو مصر أو الهند.

والبناء: يقوم ببناء الجدران بالحجر والطوب الأحمر واللبن بعد أن يلصق عليه الطين المخمر: ثم يرص الخشب فوق رؤوس البناء وكان «الخشب» من عيدان الطرفاء أو جذوع النخيل المقصوفة وقد يقوم «البناء» بتقطيع مساحة الدار إلى غرف متعددة إذا كانت كبيرة، وتوزيعها إلى قاعة ومجلس ودهليز وأسياب والبناء البلدي في عصره يقوم مقام المهندس الفني اليوم.

أما العالم: فيأخذ في الحرم النبوي الشريف مجلسه تحت اسطوانة عواميده لنشر العلم على اختلاف مواضيعه كالتوحيد والفرائض والقرآن، بجانب علم الحساب والشعر وتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة وأصول المعرفة على الطريقة البغدادية.

وحلقات العلماء في الحرم النبوي الشريف، تقوم في ذلك العصر مقام الجامعة أو الكلية، في هذا اليوم.

ملابس الرجال والنساء

سنة ٩٢٥ هـ

وأما الملابس التي كان يستعملها كبار (١) البلدة: العمة والجبة والسديرية المزرة، بأزاريير الفضة يتدلى من الجانب الأيسر سلسلة فضية تنتهي إلى ساعة وضعت في جيب السديرية الأيسر وقد كان قماش الجبة من الجوخ الملون - الأخضر أو النيلي الفاتح أو اللازوردي، أما السديرية والثوب فمن البفتة البيضاء أو من قماش الملا.

(١) أعيانها.

أما رجال الأعمال فيهم، فيرتدون قماشاً يقال له السليطي الأبيض أو المصفر، يصبغها بعضهم على الذوق الذي يروق له، أصفر، أو أحمر، أو أزرق، أو أسود، وكان سوق الصباغة الواقع أمام ساحة مسجد السيدة فاطمة مزدهماً بالزبائن. وخياطة الملابس تقوم بها ربة الدار بعد تفصيلها بيدها مدة فراغها من أعمال المنزل الضرورية، ويساعدها على خياطتها أحياناً صاحباتها من الجيران. وللنساء زِيٌّ خاص في ملابسهن، فهن يصنعن الفساتين المقببة أطرافها - والمقاطع المقصبة. يشتري لها زوجها كمية كبيرة من القماش المصري المقلم أو المخطط بألوان متنوعة من الذي يحضره الحجاج والزوار معهم في المواسم، فيقدمه لها وهي بدورها تصنع منه الكرّة (١) والسراويل المزركشة والمقطع (٢). والمدنية بطبعها «مخدرة» ولكن صنعت لها حجاباً ترتديه عند خروجها، ومن أنواعه، الشرشف، والملاية اللف، والملاية الجاوي، والعباءة، والبجامة، وهوراء ضافٍ مثل الكيس إلا أن له طاقة، قد فتح تجاه العيون فيها فتحة مشبك فيها تخريمة من الحرير مشبكة، ترى منها المرأة طريقها وهي فيها ترى ولا ترى.

الزواج من سنة ٩٢٥-١٣٣٣ هـ

تذهب «ربة الدار» إلى بعض البيوتات المجاورة لسكنها أو البعيدة عنها، للبحث عن عروس جميلة عاقلة لابنها، وعندما يوفقها الله إلى تلك العروس المنتظرة، تبلغ زوجها فيذهب إلى والد العروس، على وصف زوجته ويستقبل بالترحاب والتأهيل من قبل أبي العروس وعندما ينتهي من شربه لفنجان القهوة الذي قدم له كضيف

(١) الكرّة: لباس نسوي مختصر.

(٢) المقطع كثوب يضارع ثوب الرجل إلا أنه ليس له باقة قد نظم بالترتر البراق والحرير الجميل خاص بلبس النساء.

عزيز، يفاتحه بالرغبة وهي تزويج ابنته على ابنه ويوافق أبو العروس، بعد رضا العائلة، وتقرأ الفاتحة، ثم يدور الاتفاق عن تحديد يوم لعقد القران وفي نفس اليوم المحدد يعززون بعض الجيران وبعضاً من الأقارب وتضاء القناديل أمام ساحة الدار وفي ممراته ومجالسه، وقد غص بالضيوف من المحبين والجيران ثم بعد صلاة المغرب مباشرة يقدم موكب فارس الأحلام العريس قد أحاط به والده وأعمامه وأخوانه يتقدمهم صف من العلماء والفقهاء وثلة من عليّة القوم ممن اتصف بالرزانة والفضل والعريس وسط ذلك الجمع يتهادي كالبدْر حفت به النجوم.

عرض الشبكة

يتقدمهم أصحاب القناديل المضاءة بالزيت ومن خلفهم صواني التخشيشة المحملة بالورد والفل والرياحين محمولة على أعناق الرجال ومن خلفهم صندوق صغير مطعم بالفصوص الثمينة قد وضع بداخله المهر يحمله ذو ثقة وبجواره بقشة الحوائج قد زينت بعقود الورد والفل، ثم يليهم في الصف الثالث صحنون بداخلها تمرزاهي مفصّص بداخله قطع من اللوز البجلي وقد غطت بمناديل حرير متنوعة، تلدت كتل أطرافها البراقة من جوانب تربيعتها غشاها الترتر المشع، وقد أخذت النصاصات وهن المزغردات ممن يستأجرن لمثل هذا من مواليد المدينة، أماكنهن عن يمين ويسار الموكب حاملات مباحرات من الفضة، وقد نثرن العود والمسك على مجامر فارقت منها دخان عطر الأرجاء بطيبه، ومع كل هذا ارتفعت زغاريد النصاصات، الفضّي الرنان عالية إلى السماء معلنة لأهل العروسة قدوم «موكب العريس» ليستعد والد العروس وفي معيته إخوانها وأعمامها وأقاربه وضيوفه لاستقبالهم من مسافة ، مهللين ومكبريت ، ومرحبين ومستبشرين .

يوم الشبكة

فيتقدم والد العروس الموكب: حيث يوسع الطريق للعريس وضيوفه مروراً إلى

قاعة الدار المعدة للحفل وعند استقرار الموكب فيها يأخذ العريس مجلسه في صدر القاعة، جالساً على كرسي جميل مريح بارزاً ملتفاً بعباءته البيضاء الفضفاضة، وعقاله المقصب الذهبي وجلست حاشيته ممن حضروا معه عن يمينه ويساره ثم احضر والد العروسة كرسيّاً وضع بجوار العريس جعل خصيصاً لجلوس خطيب العريس، ثم يبدأ الحفل لعقد القرآن بآيات من كتاب الله يتلوها مقرئ المدينة المنورة المتضلع لمثل هذا بتجويد وتحفظ ثم عند انتهائه ينشد خطيب العريس بصوت شذي أخذ بمجامع القلوب كأنه مزامير داود : متضمناً أبياتاً :

إنا جنّنا خاطبين فلا تردونا خائبين

ثم يرتفع من الجهة الأخرى صوت المجيب عن أهل العروس بأن تشرفنا بكم وإن طلبكم مقبول.

ويختتم الحفل بالقرآن كما بدأ به، وتوزع التمور المفصصة والحلوى والمناديل والعطور على من ضمتهم قاعة الحفل سوياً وبتناولها - ترتفع التهاني (مبروك) الله يتم بخير عقبال الخلف الصالح وترش الحلاوة وزهور الورد من فتحة الجلاء على المدعوين والزغاريد متواصلة.

ليلة الدخلة

يهتم والد العروس بجهاز ابنته العروسة وهو عبارة عن مراتب ومساند ولحف وأدوات المطبخ والأبسطة الجميلة والحنفية وصناديق الملابس ودولاب الحوائج والمنقل والطشت والابريق وصحنه والرحاية والدلو والبكرة وحبالها وكراسي الغسيل والشراشف والستائر وبقشة الحوائج وبقشة خاصة لسجاده وإخراج المراوح والنملية واللمبات الزيتية أما أسرة النوم فيصنعها القفاص .

كل هذه الأمتعة يحضرها والد العروس فيودعها في مجلس بداره حتى يوم خروج الفراش إلى بيت العروسين وتهتم أم العروس هي وبعض جاراتها فيذهبن

إلى بيت العروس الجديد ويقمن بكنسه من أعلاه إلى أسفله وينظفن جدرانته من العناكب والصراصير والنمل بمكانس من الخصف وجريد النخل الأخضر ثم يغسلن فرش الحبر ويرشن القاعة والمجالس بماء ينزح من بئر الدار يوضع في اسطلة حديدية جيء بها لهذا الغرض وبعد تنظيفه والانتهاء منه، بعد تبخيره بالمستكى أو الجاوي التناصيري واللبن الشحري يغلقنه ويذهبن ويبقى دار العروسين يومين حتى يجف من البلل وبعدها يصبح جاهزاً للفرش.

خروج فراش العروس بعرضه الجميل

ثم يذهب والد العروس إلى شيخ الحمالين في المدينة المنورة والاتفاق معه لنقل الفراش من مستودعه وإيصاله إلى دار العريس بحوش الباشا - فيحضر «الشيخ» مائة حامل وأكثر لنقله على الطريقة المتبعة عند أهل المدينة المنورة. وهي كل حامل يحمل قطعة من العفش، ويمشون بها طابوراً في شوارع المدينة حتى إيصالها لدار العريسين يتقدمهم الشيخ وقد ارتدى أجمل ما عنده من الملابس بعد أن وضع العمة وتكحل وتوشع بعباءة فضفاضة وقد وضع المصحف الشريف فوق رأسه وراح يتهادى بخطاه واستند على عكاز بيده ممسكه بيمينه ومن خلفه صاحب المرايا الكبيرة التركية وعن يساره ويمينه تجنحت النصاصات حاملات مباخر العود مطلقات الزغاريد، ومن خلف صاحبي المرايا طابور طويل من الحمالين منتظمين في سيرهم الجميل مرتدين أجمل وأحلى الملابس. هذا حامل مرتبة والآخر حامل مسنداً والثالث مخدة والرابع دفاة والخامس مفرشة وقد وزع الفراش على عدد الحمالين بالترتيب كل حامل جزءاً منه، وينتهي حبل الطابور الممتد بصاحب الصندوق وطشت الغسيل والحنفية، مستعرضين بما يحملون أمام مواطني المدينة المنورة الذي غص بهم جانباً الشارع الذي مروا منه بعرضهم وقد يتساءلون بينهم لمن هذا الفراش [قال أحدهم لفلان على فلانة].

يوم الحنة والتنظيف

تأتي النصاصة المخصصة لعمل الحناء ووضعها بيدي العروس ونقش أرجلها بها ووضع الحلوى لتزيين بشرتها والحلوى تنظف كل ما يطلب تنظيفه من وجهها وجسمها وهو يقوم مقام المكياج اليوم: ويعمل والد العروس في هذا اليوم خاصة وليمة كبيرة لها قدر وقيمة يدعو إليها الأقارب والأحباب وتتجلى فيه «شيخة العدة وبناتها» فتهزج بالغناء الشجي بصوت حنون تصف فيه جمال العروس، والسعادة التي تنتظرها بأنغام خالبة للقلب وبناتها يرددن على كل مقطع تقف عنده الشيخة، والطبول تقرعها الأنامل بطريقة متقنة، مما يجعل العذارى من بنات الحي يتهزعن على تلك الطبول والصلق (١) يتناثر في عب الشيخة والوفر (٢) من أم العروس مستمراً الفنية بعد الفينة، ولم تنس الشيخة في شذوها تهنئة أبي العروس وأما وإخوتها الذين طال عمرهم وستروا ابنتهم بأهازيج محببة جميلة.

في البيت الجديد

هناك في البيت الجديد، هيأ العريس وأهله، سفر «التعتيمة» (٣) هي عبارة عن صوان من صواني النحاس كبيرة بعرض متر في متروضعوا عليها «الجبين - والزيتون» والديبازة. واليخني والكفافة والمخلل، والبقلالة، وضع الفتوت في طرف منها، قد جهز العريس بمساعدة أهله، عدة صوان وضعت في محل خاص قفل العريس عليها وهي المضيافة الخاصة بمدعوي العريس في هذه الليلة للرجال وقد وضع مثلها عدداً أو كمية خاصة لمن حضر مع موكب العروسة من النساء.. وفي الليلة هذه. يذهب أخ العروسة والوالدا إلى شيخ «العرجية» (٤). يتفقاً

(١) الصلص نقود تلقى بعب الشيخة من المدعوات تقريباً.

(٢) السكر والهليل والورد والمناديل وسكر نبات.

(٣) التعتيمة ما يقدم في العشاء.

(٤) كاسي ذلك العصر تقاد بالخيول والبغال لا بالبنزين.

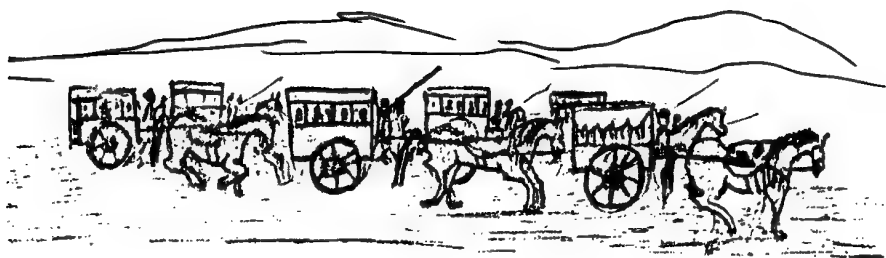
معه على استئجار عدة عربات تجرها الخيل ويذهبوا بها إلى دار العروسة في نفس الليلة ثم تجمل عربية العروس خاصة، بالأكاليل والورود والستائر المفضضة المطعمة بالترتر وحبال الإبريسم التي تدلت من رؤوسها كتل حريرية متوهجة، وحتى الفرس الذي يجرها قد ألقى على ظهره وشاح من الديباج المتنقل وعلى رأسه ورود ربطت بحزام من الترتروقد تناثرت الأجراس على حلقة معلقة تجلجل عند كل خطوة يخطوها.

العروس إلى بيت الزوج

وركبت العروس عربتها الخاصة وتقدمها عربتان مُلئتَا ببعض النساء من المدعوات ثم توسطت عربية العروس عربات المدعوات من الجيران، فانطلق الموكب، بشكل يلفت نظر المخدرات اللاتي أشرفن على الموكب من طياق ونوافذ عمارتهن عند سماعهن زغاريد النصاصات وانشاقهن لطيب بخور العود الصاعد عليهن من أرض «الموكب» عند مرور العربات من شارعها بصورة جميلة متبعة ومحبة في كل عرس وقد يلفت ذلك نظر الشباب من سكان الحي الذين تمنون أن يكرمهم الله بزوجه مثل هذه يستردينه بها وكم رجا العزوبي ذلك.

انسابت العربات في سيرها الهويني إنسياب الماء العذب تحت أصل الشجر يتهدأ بالعروس وصويحاتها من المدعوات منطلقاً إلى دار العريس التي غصت مجالسه ورداته بأمه وأخواته وجيرانهم، وعندما اقترب الموكب انطلقت الزغاريد من دار العريس، فوقفت العربات المقلة للعروس ومرافقها أمام ساحة باب الدار، فترجل ركابها، وترجلت العروس يسندها أخواتها اللاتي حفن بها واللاتي حملن ذيل ثوب الدخلة الفضفاض من خلفها، وقد غطى وجهها بقماش من التلتيل البراق. وعندما اقتربت من دار زوجها تقدمت أمه وأخواته وسلمن عليها وحيوها بأهلاً وسهلاً، ولم تملك الأم نفسها عند وقعت عيناها عليها بأن قالت «قمر» يا ناس «قمر» وايدتها جاراتها بقولهن «يالجمالها» وقالت الأخرى «أعيذها برب الفلق من شر ما

خلق» وهي تبتسم والعرق يتحدر على وجنتيها كحبات اللؤلؤ.
وتدخل العروس قاعة الدار التي امتلأت بالمدعوات من النساء ثم أجلسنها على
كرسي من الأبنوس أو خشب الزان عالياً بحيث يراها كل من ضمه حمى القاعة.
وتواصل الشيخة وبناتها الغناء الجميل الذي يصف جمال العروسة وبناتها
يرددن، حتى ساعة متأخرة من الليل ثم تبدأ الشرعة فتشعر، بشرعة مدنية، ثم
شرعة تركية وفي كل شرعة يقرع الطارباغاني الشيخة وتجلت النصاصة
بزغاريدها المستمرة دوماً عند كل شرعة ثم تزف على زوجها في برجه العاجي.



سنة ٩٢٥هـ

عربية العروس منطلقة إلى دار العربي

الصبيحة

وتدعى المدعوات إلى صواني العشاء التي ذكرت، أما الرجال فقد سبقوا وانصرفوا. وفي الصباح - يقدم الإفطار يرفعه للعريسين في الصباح الطباخ المرابط من الليل في حوش الدار لعمل وليمة الظهر وكان الإفطار الذي رفع، زليبية تسندها شيرتها واللقيمات وشيئاً من الهريسة والفول بالسمن البري وبعض الجبن والحلاوة التركية.

وبعد الإفطار، تخرج العروس من غرفة الجلوة، للسلام على أهل العريس المنتظرات خروجها، على أحر من الجمر وما أن تقع أنظارهن عليها إلا وتسابقن إلى تهنئتها وتحيتها من بين الجميع أم العريس هاشة باشة، ويتبعها بالتهنئة أخواته وعماته وخالاته بالترحيب والتبريك ثم يقدمن الصبيحة، كلا على قدر حالته هذه تقدم، خاتم ذهب مطعم بالماس البراق، والثانية قدمت سواراً من الذهب الخالص مفصص بالياقوت والأخرى تقدم حلقاً جميلاً بفردتيه والأخرى قدمت خلخالاً مجوراً من الذهب والثانية سبحة ذهب وطوق ذهب، وبعضهن قدمن عقداً من اللؤلؤ الفاخر الثمين، وقدمت مشابك وبكالات من الذهب الخالص، والعروس تستقبل ما تقدم إليها من أسرة العريس بحياء شاكرة مبتسمة، وقد حملت ذلك الكنز الثمين بمنديل مقصب الطرف وذهبت به إلى غرفتها حيث أودعته في صندوق المجوهرات الذي جاء به الحامل من بيت والدها مع الفراش محتفظة به لوقت اللزوم.

ثم يولم العريس في نفس يوم الصبيحة فيدعو الجيران والأحباب للغداء ويستمر هذا الحال عند الموسرين سبعة أيام، أما عند ذوي الدخل المحدود ينتهي بانتهاء

يوم الصبحة (١) وفي نهاية السبعة يخرج العريس هابطاً من برجه العاجي: إلى عمله، فيستقبله في السوق من علم من جيرانه بالتهاني والتبريك ويدعون له أن يرزقه الله الخلف.

المرأة المدنية «ربة بيت»

تعد المرأة في ذلك العصر كل شيء في محيط منزلها فهي تهئ الطعام للزوج والأولاد وتغسل الملابس، «بالشنان» الذي قام مقام «التايد» تلك الأيام. وتنظف البيت بمكانس الخصف ورش الدرج وحك الشراب وملء أزيار الحمام وبيت الأدب من ماء البئر. وتقوم مع كل هذا بطحن الدقيق بالرحاء الموجودة لديها، ونخله بالمنخل وخبزه وإرساله مع ابنها إلى فرن الحارة ووضع حنانة وهو قرص صغير أجرة من يوصله إلى الفرن إذا لم يكن عندها أولاد، وتخيظ ملابس زوجها وأولادها في وقت فراغها وتصنع من الحرير على المنسج نقشاً على أرجل السراويل وأكمام الثوب والحلق والياقة من الأبيض الخالص، وتجمع الملابس، القديمة الممزقة وعمل طراحة أو مرتبة بها - وتحلب الغنم وتخض اللبن وأخراج الزبدة من السعن بعد خضه وعمل الجبن. وترقيد التمر: في وعاء خاص. بعد مزج السمسم والزعتر والقرطم عليه، وهي مع كل هذا فنانة في الطهي من الطراز الأول تقوم بصنع المعرق في قدور من النحاس بعد أن تقطع لحمه إلى أوصال على قدر ضفر إبهام اليد اليمنى ثم تمرجه بالبدنجان الأحمر الناشف المطحون وتضع عليه مع مزجه التوابل كالكمون والفلفل الأسود والقرفة والهيل والهرد ومثل ذلك عملها في مختوم

(١) الصبحة في عرف أهل المدينة المنورة بعد دخول العريس على عروسه والجلوة بها وعندما يذرقن الغزاة من فجر ليلة الجلوة وتشرق شمسُه يحسب ذلك اليوم يوم الصبحة.
وما برج هذا اليوم من قديم الزمان وهو ثابت الأركان حتى يومنا هذا.

البامية بالزعفران، والملوخية المشومة وتصنع المحشي المشكل من الكوسة والبدنجان الأحمر والأسود والفلفل الأخضر الكبير، مع صينية الكرنب وأوراق العنب المبروم بالمفرومة والتوابل بجانب صنعها للفطائر الملبدة بالعسل الممزوج بالسمن البري أو الزبدة. الخالصة قد رش عليه الفستق واللوز البجلي وتهبى كل ذلك على صينية من النحاس الخالص مدورة تشبه طبقاً كبيراً مشذرم الحواشي بعرض متر في متر أو تشبه صواني التقعية تضوع تلك الأصناف من الأطعمة المختلفة عليها يتوسطها صحن الجويش المصنوع من حب القمح الخالص. وهو عبارة عن (الكسكاس) المهبوش قد علاه قطع من لحم الضأن المحمر ثم توزع الخبز البيتي على دوران السفرة، بينما وضع بالقرب منها شربة «قلة» من الفخار مبخرة بالقفل و«المستكى» تلالاً على أرسها غطاء مدهون من الصفر مهلل. وضع بجوارها كأس من المعدن الخالص أعدت لمن يريد شرب الماء وسط الأكل وبعده. وعند الانتهاء من الأكل تنتقل الأسرة إلى مجلس الدار وهو عبارة عن ديوان أو مجلس واسع يتوسط غرف الدار فرشت فيه الأبسط الصوفية الثمينة وضع على أطراف زواياها الأربع طرارع من القطن أخذ «رب الأسرة» مجلسه في صدرها وبقية الأسرة أخذ كل مجلسه عليها، ثم تقدم الأم أو ابنتها الكبرى عصير التمر المصفى من شوائبه قد مزج بروح الموز أو الورد وأحياناً - يقدم في هذا المجلس عصير قمر الدين أو عصير (ليمون بن زهير) محلى بالعسل المصفى النقي، وأحياناً يقدم فيه اللبن الرائب احتفظ به لهذا الغرض من غنم الدار التي تعهد الجميع تربيتها وأحياناً يخرجون من نفس اللبن الجبن يدخر لدى الأسرة طيلة العام، أما في المساء فتقدم «الفتوت أو الفطير» معهما شيء من الجبن والزيتون والحليب المتوج باللوز البجلي، واليخني والدقة وتدار مع كل هذا القهوة المهيلة قبع بجوارها صحن من تمر الحلوة الجميل والمجلس يخيم عليه الصفاء والسعادة. بين الأسرة وقد قضوا ساعته بالحديث الشيق أو القصة النادرة المفيدة كموعظة لأنه في ذلك

العصر، لم يكن بينهم «تلفاز» ولا «راديو»، ولا «فيديو» ولا هناك عند اشتداد الحر «كنديشن صحراوي» أو «فريون» ولا حتى «مراوح كهربائية» لاسقيفة، ولا جلّاسي، بل استعملوا مراوح الخصف الذي ابتاعها رب المنزل من سوق الخصف، وقد اشترى كم درزن جعلها لحاجة أهل البيت والجزء الآخر للضيوف.

مراوح الخصف

وللمراوح الخصفية المصنوعة من سعف النخيل اهتمام كبير عند ربة المنزل فهي قد أعدت لها قصاصات الكرت الملونة، فتقوم بتسجيفها على مساحة تربيعتها حتى، مقبض اليد منها، نمقتها بألوان من نهايات القطع التي خاطتها عليها، زاهية جذابة وقد تتفنن بصنع ورد أو شجر من القصاصات اثبتتهم عليها زيادة في تجميلها، والبعض قام بنظم الترتير البراق عليها بشكل يدعي إلى طلبها والتهف بها طمعاً في الهواء الرطب المطرى الذي تنقله ثم تصنع مع كل هذا لها خرجاً جميلاً مفصفاً بالترتر لحفظ المراوح به يعلق في صدر مجلس الضيوف ليسهل على الضيف تناولها بسهولة ومن اهتمام المواطن في ذلك العصر بها، قد يهديها ومعها ربطة من المكائس وبعض القلل إلى صديق له في جدة أو مكة المكرمة أو الطائف. وقد يعتبرها المهدى إليه، أعظم هدية قدمت له.

وقد أعدت أمام مجلس الضيوف «أبودكتين» مرفع من الحديد - أو من الخشب علاوة على ثلاث قلل من الفخار يتوسطها زير من الفخار قد ملئت بالماء العذب المبخر تلوّه كأس من المعدن الخالص، جعلت خصيصاً لشرب الضيف. وفي قلب المرفع وضع وسط قوائمه الثلاثة صحن وضع بداخله حبات الورد والفل والنوامي، والنعناعات / الحساوي والمغربي، فيتلقى تلك الخضرة الجميلة نعناع القلل والزير الذي يسقط عليها كالطلل الخفيف عند الفجر.

المجالس وحياتها اليومية

والمجالس عبارة عن دهليز أو مقعد عند مداخل الأبواب وسيب طويل يمتد إلى فسحة ترامت عليها أبواب القاعة الكبيرة - والقاعة الصغيرة أقيم جانبها سلامك الدرج وهو يعرفهم فحل الدرج من تحته صينية لوضع الفحم والخطب قد هيئ الدهليز ببساط جميل من الصوف المقلّم علته مراتب معدودة ومساند بمقدار ٤٠ سم ارتفاع وطول كل مسند ٩٠ سم تقريباً رصت على المراتب مما يلي الجدار ليسند الضيف ظهره في جلوسه عليها غشتها شرشف بيضاء أو زرقاء أو بنية .
توسط كل جهة من المراتب دفايع أي متكأ علاه مخدة كيست بشرشف مطرز بالدانتيل عليه من نفس لون الدفاعة والمرتبة برز من رأس الدفاعة نفس اللون الملائم .

ولا يبعد فرش «القاعة» أو المقعد عن الدهليز إلا بالجلاء الذي يدخل عليها الضوء والهواء من سطوح الدار: وقد زينت جدرانها بالعقود الجميلة وسقفها بألواح الخشب المسجرتدت من قلبه سلسلة صفراء حملت وتدلّى معها قنديل ملأ بالزيت أعد لإنارتها عندما تمتلئ بالضيوف .

والحمامات فيها شئن لا يبارى لما لها من الأهمية في ذلك العصر قد وضع في كل حمام زير كبير وحنفية من النحاس : أو من الزنك ، وبرميلين كبير ومتوسط لتسخين الماء وضع على كانون حديد ملئ بفحم شجر السمّر ، وزير صغير من الفخار مغطى بلوح من الخشب السميّك وضعا عليه مغراف تنك ، وثبت في جدار الحمام مسرجة عبارة عن حق من التنك علته رقبة صغيرة بقدر حجم مرسام البنسل خرجت من جوفه إلى اعلا فتيلة من القطن الخالص ملأ بالزيت الأخضر يوقد عند اسدال الظلام في الحمام وبيت الأدب مثلها خاصة . وهي نشيطة في خزن الجبن في «مرطبان» (١) خاص بعد تملّحه لأجل أن يبقى طرياً والسمن والعسل في أوعية

(١) المرتبان وعاء مستطيل ضعيف الرقبة متسع الجرم كالجرّة الصغيرة الذي يصنع بها الفول المدمس ولكنه من الفخار المدهون .

لا يصل إليها النمل وما أدراك ما النمل أو أي حشرة. وهي شاطرة في تشجيع أولادها لتعلم القراءة وحفظ كلام الله ففي كل صباح تقوم بوضع خبزوشى من الجبن أو التمر في خرج لوح الكتاب وتحت ابنها على مواصلة التعليم وهذه الميزة شأن كل امرأة في المدينة لها أولاد.

وهي مع كل هذا تعد في المنزل كل شئ. صابرة محتسبة مؤدبة.

فمها يرتل أي ربك بينما يدها تدير مع القدور رحاها تستحي من ظلها ولم تكن عينها طويلة أو رغاية ولا صوتها مرفوع حتى لو ضربها زوجها أو شتمها تتحمل ذلك وتخفي ذلك عن أهلها مطيعة لأوامر زوجها حتى لو أكلها البصل بالعيش الناشف والخل الطوري.

أداؤها لفريضة الحج

يذهب بها زوجها معززة مكرمة وفي هذا يحمد الزوج لقيامه بأداء فريضتها فإذا دخلت أيام الحج الأولى هيأ لها الزوج كل ما تنشده من زاد فتقوم بدورها بصنع المعمول والكعيكات المغمورة بالسمن البري والحلاوة التركية والعريكة المصبرة بالسمن، والبصل والملح والشيح والفلفل الأسود الطيب الأبكم والزعترو والزيت الأخضر النقي والجبن والزيتون كل هذه الأشياء تضعها في أوعية خاصة تحفظها بها ثم تودعها خرجاً مقلماً ملأت بها فردتيه المقعرة ثم قفلته. إنه زاد الطريق إلى مكة المكرمة.

أما الزوج فصنع لها محملاً وهو الهودج فرش فيه الأبسط الزاهية وعلق على مدخله ستارة سميكة ثم أحضر ثلاثة جمال أحدها لحمل الخيمة والزاد والماء والثاني لحمل هودج الزوجة والثالث وهو أخفها له فينطلق بركبه مرافقاً به العوائل الذاهبة لأداء فريضة الحج برفق ركب المدينة المنورة وقد يحصل آنذاك التعارف بين رفقاء الطريق.. وبعد مجيئه من الحج سالما غانما تعمل له وليمة، القدموم يدعون إليها الأقارب والأحباب ويعلق سعف النخيل الأخضر، فتحضر الشیخة

وبناتها ويغنين ويطلبن وترش الحلاوة على الحاجّ والحاجة، وينثر الورد ويعج
العود.

الركب

أنقنا مطايانا بسفع فعيقع^(١)

اعتاد أهل المدينة المنورة منذ عهد طويلة متى قربت أشهر الحج أن يهيئوا الزاد والزمانة، من إبل وخيل وبغال وحمير ثم يذهبون إلى شيخ الركب، ويعلنون عن رغبتهم: الرفقة مع الركب وينفح حسب المتبع، وشيخ الركب هو الربان الذي يدير السفينة البرية، والربان مسؤول عن ركاب السفينة من اقلاعها من مرفئها حتى تعود إليه، وقد يحفظها من أمواج بحر الطريق العارمة بقطاع الطرق ومن الأسماك العاتية اللصوص الذين يعترضون مسارها في هدأة الليل، ومعه بعض الرجال «الفتوة» الأشداء لمهام التحميل، والشيخ قد اتصف بالطيبة والخلق النادر والمروءة، ومن اختصاصه مع ادارة السفينة يحتفظ بالعلم الخاص بركب المدينة، ويحضر الحادي، المنشد ويهيئ المراقبين ويختار أقواهم ويحدد اليوم الذي يبارح فيه الركب المدينة المنورة إلى مكة المكرمة. وكانت ساحة التجمع أمام مسجد الغمامة قد شهدت مواقف جلى لركب المدينة المنورة ولسماع حداتها الذين ذهبوا تحت أطباق الثرى.

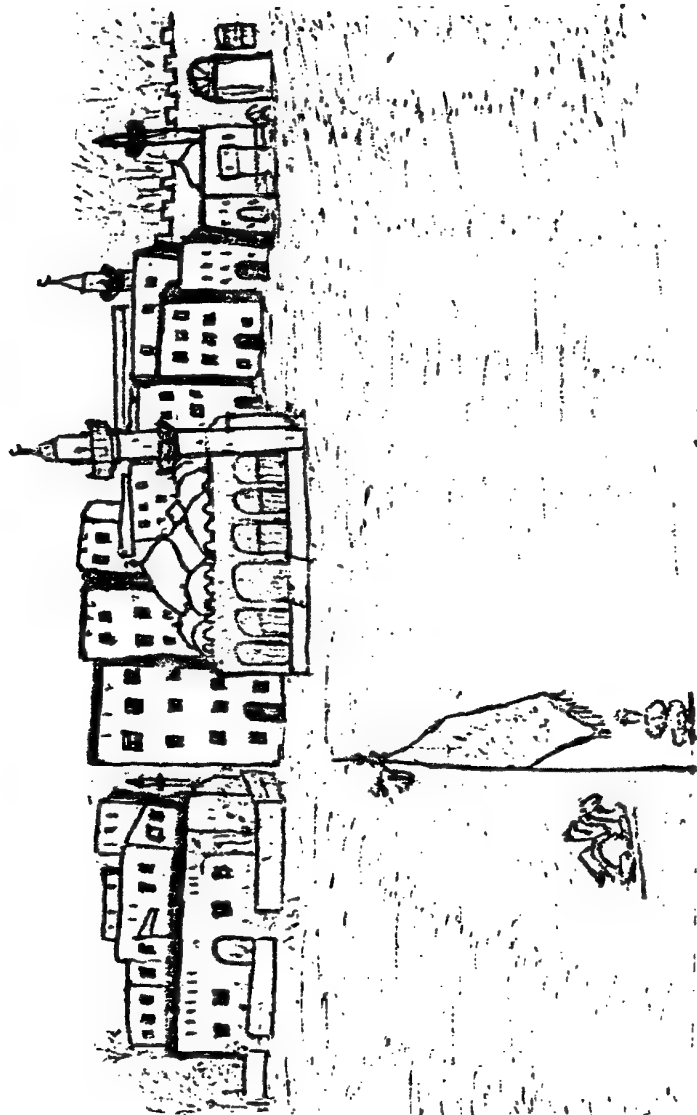
ينصب علم المدينة المنورة، وهو قماش من الديباج الأخضر كتب عليه بخيوط الذهب والفضة كلمة التوحيد، ثُبَّتْ بعود من خشب الزان السميك بطول أربعة متر علاه رمانة من الفضة برزمن رأسها خنجر براق سل من قرابه. وركبوا من أسفل بحربة مدبية تغرس باديم الثرى ليقف الهلال منتصباً يراه أهل المدينة المنورة

(١) فميقع جبل جوار الحرم الشريف.

مدة وقوفه تحت ظلال قباب مسجد الغمامة، يوماً أو يومين، وهناك حارسه القوي، وقف بالقرب منه لئلا يعث به صبيان المدينة المنورة، ووقوفه منتصباً في الساحة، إذا نال لسيّر الركب إلى مكة المكرمة فيجتمعون عنده بمطاياهم، والعوائل يسبقونه إلى الغائر بهو أوجهم ثم عندما اجتمعوا اعتلى الحادي مطيته ووجهها إلى المسجد النبوي الشريف ثم رفع صوته «بموال» شجي يتضمن مغادرتهم طيبة» ويتفنن ببرده الناعمة بما أشجى القلوب وأدمع العيون وقد رغب إلى الحج. وللحداة في ذلك العصر مقام كبير وتقدير مشهود عند سكان المدينة المنورة فهو بجانب انه حادي للركب مؤذن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطيب عند قرآن الزواج.

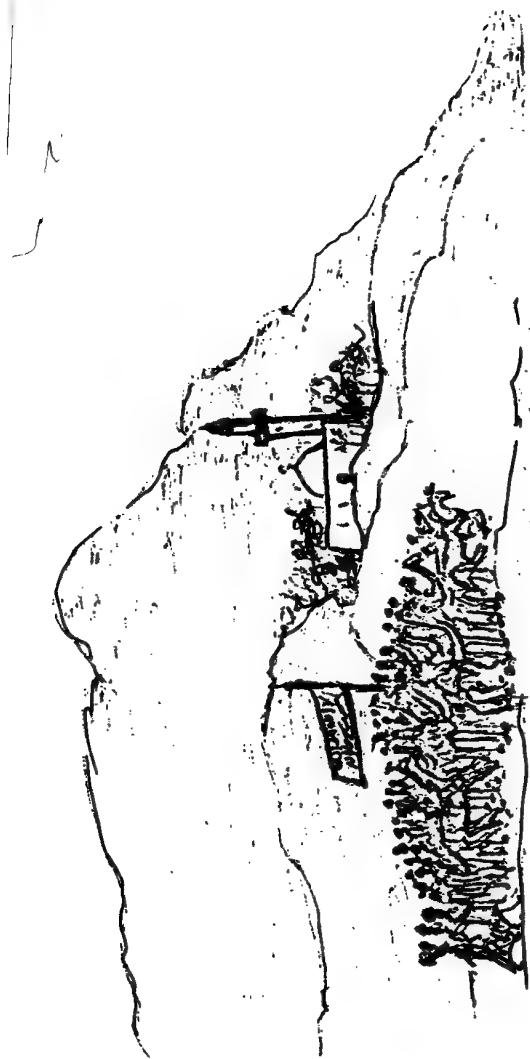
ومجيب في القرآن أيضاً لقد اشتهر الحداة برخامة الصوت مع حفظ الأنغام. وكان أشهرهم «البناني» و«حلابة» وعلي عامر الشاعر ومحمد صالح الشمري، وقد أدركت منهم حسين بخاري رحمه الله والشيخ محمود نعمان، وأبو السعود ديولي، والعينوسة، وعبد استار بخاري.

وللركب عند مغادرتة بحاجاه على مطاياهم، المدينة المنورة مزية واحترام يقف في سيره أمام دار حاكم المدينة المنورة لتوديعه حسب العادة من قديم فيطلق من حنجرته قصيدة رنانة بصوته العالي الرفيع، مما جعل مرافقيه ومن حضر حفل التوديع يصيحون بدون شعور الله، الله ومن كرم الحاكم يرسل له بردة ونقود ويدعو لهم بالتوفيق.



علم الركب لأهل المدينة منصوباً أمام ساحة مسجد الغمامة ويرى قرن الميري
ومحلة التاجوري من خلفه ومقر الشرطي قديماً الخالدية

الركب في آبار علي ميقات أهل المدينة المنورة



حتم القرآن و «القن» و «التسمية»

ومن العادات القديمة، إذا حفظ الطفل فيها من القرآن جزء (عَمَّ) عملت له وليمة كبيرة وزين الدار بأجمل الرياش وأحضرت قفف الحلاوة، وذهب والده باحترام إلى معلم «الكتاب» الذي يدرس فيه الطفل وعزم فضيلة الشيخ المربي، وزملاء ابنه من طلبة الكتاب، وأنذاك يهتم المعلم بتزيين لوح من الخشب بعد حكه «بالمضرر» وتجميله بالأخضر والأحمر على حواشيه. ثم كتب عليه أول سورة النبأ «وحف اللوح بالورد والفل الذي أتى به والد الطفل الحافظ. ثم عند قرب آوان الغداء خرج المعلم بالتلاميذ بصف واحد ممتد طويل يتقدمهم الطفل الحافظ وقد ارتدى أجمل ما قدمته له أمه من ملابس فضفاضة بعد ترويشه وتكحيله وينطلق «طابور» التلاميذ إلى دار الطفل الحافظ وهو معهم والحلاوات ترش عليهم من نوافذ الشارع الذي يمرون منه حتى وصولهم إلى دار الطفل، أما المعلم فقد وضع على رأسه عمة مدورة من الشاش الخالص، ولبس جبة مفتوحة الصدر حتى قدميه وسديرية بيضاء مزررة بأزاريير صفير براقاة ومسك عصاه المؤدبة بيمينه واتبع سير التلاميذ وقد يتلقى التحيات من المواطنين بابتسامته البيضاء وتارة بهز رأسه.

وفي هذه اللحظة تسأل الجارة / المشرفة على مرور الطلبة، جارتها: ولد مين هذا؟ فتقول: ولد «فلان» فتقول لها: عقبال أولادك، فتقول: «بسلامتك وأولادك: إن شاء الله، ويبدأ تعليقهن، وأنظارهن متجه إلى الطفل الناجح بالجماله: يا أختي مستحي، ماشاء الله تلوح عليه النجابة من صغره انظري كيف رازقبتة، الله يحفظه لأهله والناس حتى في المدح والذم غاية لا تدرک.

تسمية المولود

وعندما يبدأ فجر اليوم السابع من ولادة الطفل تأتي جدته وخالاته فيكنس البيت، ويجري عموماً تنظيفه والبعض منهن يقمن بغسل كافولاته والثانية تفور الحلبة، وتبهيى العسل والسمن والزبدة والأم نائمة على مرتبتتها. بينما عرشت الأبسطة، وسندت المساند ورسدت الطراريح ثم تزين الدار بالورود والقاعة بسعف

النخل الأخضر المزدا ان بعقود الفل والياسمين والريحان . وتطوق كافولته بعقود الورد والفل . ثم يوضع بالكافولة وينوم جوار أمه المتمددة على مرتبتها ثم يجري دور اللصق وهي هدية من النقود وألواح صغيرة من الفضة والذهب مكتوب فيها آية الإخلاص وآية الكرسي تُبَتَّت بسلسلة من الفضة والذهب يوضع تحت مرتبة الطفل أو وسادته . ثم يجري رش الحلاوة على أطفال المحلة ، ويحضر الخلان والأقارب ويعمل الوالد عزومة كبيرة يدعى إليها الأهل والأقارب .

وفي « الختان » يلبس ثوباً أصفر ثم يطلق بخور « الخفان » في الموضع الموجود فيه الطفل المختون مخافة أن يشم رائحة الطيب فيتنقض جرحه ، ثم تقوم « الشيخة » وبناتها بقرع الطبول وإرسال الأغاني المشوقة ، المفعمة بالفرحة والبهجة والسرور ، ويتهزغن على الطبول العذارى بثياب كيناوية مسبولة متررة ومقاطع ضافية الأيدي يراقة قد نشرن ذوائبهن التي راحت تتناثر فوق متونهن تناثر الموج عند تبده على سطح البحر ، وتعج الدار بالزغاريد المتواصلة ويعمل الوالد عزومة كبيرة لها قدر وقيمة يدعو إليها بعض المحبين ، وهنا يقوم المدعون بتقديم الوفاء من النقود لوالد المختون كل على قدر طاقته كما امتدت الأيدي بالنقود « للعريس » عند زواجه .

عادات الأطفال

إذا أصيب الطفل بحبة تحت جفن عينه اليمنى أو اليسرى تصنع أمه طعاماً للأطفال صدقة لوجه الله تعالى مؤلفاً من حلوى بدقيق البر تسمى الحلوى التركية ثم يجتمع أطفال الجيران فيصفون واحداً وراء واحد بخيط طويل ، والطفل المصاب بـ « الجليجل » أمام الجميع حاملاً بكلتا يديه صحن غويط فاضي ثم ينطلق الأطفال بالترتيب منشدين ما لفظه (اعطوا الجليجل حقه) فتقدم نساء الجيران كل بما تقدر عليه ، من حَب وخبز وزبيب وتمروجين وسمسم ولوز وغيره من الزاد الخفيف مما يُحفظ في دورهن فيجمع عند أم الطفل المجلل وتعمل لهم طببخ

باللحم وترص معه ما أتوا به من الجيران وتقدمه إليهم. وفي النصف من شعبان من كل عام يدور الأطفال جماعات في الحارات والأزقة ويرددون أنشودتهم المفضلة وهي (سيدي مشاهن يا شريف) ويعترضون الرجال من سكان المحلة ويقولون لهم (يافندي هات البخشيش)، ولهم ومن هم في سن المراهقة من الأحداث ألعاب متنوعة في المدينة المنورة مثل «طبطب» و «الكبت» و «البربر» بكسر الباء الأولى و«شق القناء» و «الغميمة» و«عصا القاضي» و «التذكير» و «الكبوش» و «المزويقة» و «الضاع» و «الدخل» و «البلوت» و «العجل» و «الحبل» و «المقلاع».

البائعات للأعمال اليدوية و«السوق»

تنطلق البائعات بالثياب المطرزة بالحريير التي تعملها ربات البيوت مما تنقشه أيديهن على المنسج من ثياب وأقمصة وسراويل تخاطن ثم تنقش بطريقة حلوة ملفقة، فتسلم إلى البائعة التي اتخذت من رصيف سبيل «فاطمة شجرة الدر» الشرقي أمام ساحة باب المصري مجلساً لبيع ذلك. وهن محجبات لا ترى من أخمرتهن المسدلة على وجوههن، إلا حلق سواد أعينهن.

وهناك في الطرف القبلي من الساحة تناثرت مباسط الرجال، ممن يبيعون الملح والبصل، والثوم، والمكانس، والخصف، والرطب، عند حلول وقته، والسكر، والشاهي مؤخراً، وبائعو الكرات والخص، كالنعناع والورد والفلفل والشذاب والنوامي، والليمون، ومما يليهم في الجانب القبلي بائعو السمن والجبن والطرشي، والمخلل والخل الطوري، والشريك، والبقالات وبائعي الملابس، والابر والمقصات والبرسيم والحبوب على اختلاف أنواعها، والعطارة، ومما يليهم من الغرب انتشرت دكاكين السمكرية وبائعي التمور وأهل الكتاب والشربة والمندي والخرازين، والقهواوي، والقفف، وساحة الخضرة، وخان الجزارة من بائعي لحوم الضأن والبقر والجمال ثم أصحاب الحبال والخشب وبعض الصباغين.

شم النسيم عند أهل المدينة المنورة

ما بين ١٠٠٠ - ١١١٥ هـ

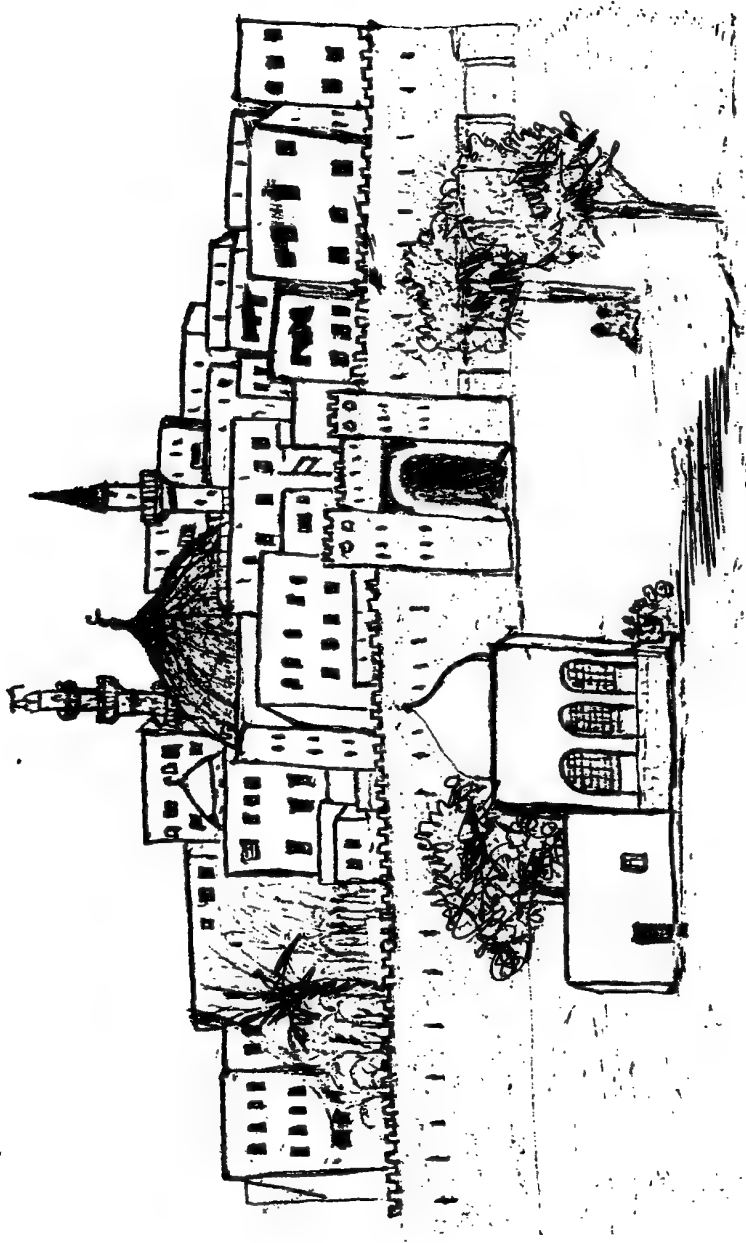
عندما تسيل أودية المدينة المنورة الثلاثة وادي العقيق، وبطحان، المسمى أبو جيدة، أو السيح، اليوم، ووادي القرى المسمى بوادي الخنق، وسيدنا حمزة رضي الله عنه، يأخذ الرجل من سكانها عائلته من أهله وأطفاله بعربات تستأجر من سوق العنبرية «مصندقة» قد أرخى على نوافذها الستائر تجرها الخيل المججلة أو البغال فيذهب بهم قائدها إلى الجهة التي سال واديهما يختار رب العائلة محلاً مزوياً بطرق المسيل ويقضون وقت مقبلهم تحت الأشجار المترامية بأفئائها على طول جانبي المسيل وعند ازوف الشمس إلى الغروب عادوا إلى منازلهم فرحين مستبشرين برحمة الله التي فاضت بهذا الماء المبارك الذي شربوا وغسلوا منه وبعض الأسر من الموسرين اتخذوا من دواوين البساتين القريبة من المسيل مقبلاً ومنتدى، انفرد الرجال في مجلس خاص والنساء والأطفال في مجلس آخر منعزل، واعتاد مزارعو البساتين هناك ملء بركها بالماء فمنهم من لا يستطيع السباحة في السيل لقوة جريانه، من المصطافين يسبح فيها والبعض يلقي بنفسه في آبارها العميقة، ويردد كلمة «الماء».

وهناك في الجانب الآخر أخذ الرفاق بذبح الذبائح وتهية الغذاء وتقديمه إليهم بعد صلاة الظهر وعند المساء يعودون بعرباتهم وحميرهم، التي أقلت عوائلهم إلى منازلهم حامدين شاكرين الله على نعمة المطر التي أكرمهم الله بها في شهرهم في عامهم.

الأسواق والحراج

ويستبشرون بنزول السمن والجبن رخيصاً في الأسواق لأن المطرياتي بالربيع الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى، مما يضطر التاجر المُخزن لهذين الصنفين إلى إخراجهما من مخزنه وبيعهما بأخفض سعر خوفاً من بوارهما بعد نزول السمن والجبن الجديد والاقط في السوق، وكانت الساحة الواقعة شرقي المناخة مما يلي شارع مسجد السيدة فاطمة، يجتمع عليها الفلتية، ويأتي البدو من كل ناحية في أطراف المدينة المنورة بما جاد الله على أغنامهم في ربيع اعطاهم السمن والجبن والاقط، وقد كان سوق الحراج العام للمفارش والخردة شرقي مسجد السيدة فاطمة، رضي الله عنها، وذلك بعد أن فتح فخري باشا الوالي التركي شارع العينيه، كان هذا الحراج ملتقى الكثير من أصحاب الحاجات (أدركت رجالاً فيه يقف العقاب على شارب أحدهم وما ينثني) كانوا مداومين على الصلوات الخمس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب صدق ووفاء وذمة، أذكر منهم (الشيخ عبد القادر حموده شيخ حرفة الدلالة والنقباء منهم أمين ضفيري وصالح الكردي، وعبد الله أفندي، وأحمد جنين وعمر عقبي، وحزمة وقاسم ولدي الشيخ محمد الزاكور، وفرج التابع للوتشة، وفرج التابع للبدرود وفرج الخزرجي، وصالح عبد المعين صباغ والشيخ محمود السبس وغيرهم الكثير) كان هؤلاء يزاولون بيع ما يقدمه إليهم الأهالي من أمتعة وأبسطة وكتب وخردة متنوعة، فيصيح صائحهم ويتزاودون على البيعة حتى يقف العطاء على أحدهم فيبارك له

الجميع وتسجل لدى كاتب الشيخ (صالح تاج) - أطال الله عمره -، وشاكر محروس - رحمه الله - وكان يوجد في الحراج قهوتان يجتمعون فيهما يقرأ عليهم فيها القصاص عليهم قصة سيرة بني هلال، أو عنتر بن شداد، أو ذات الهمة، أو حمزه البهلوان، وتارة قصة ألف ليلة وليلة، وسيف بن ذي يزن، وكانوا أنفسهم، قد افترقوا فرقتين أحدهما تناصر عنتر والأخرى تناصر خصمه عمارة ويحتدم الشجار بينهم كل يتمنى أن يكون صاحبه الفائز. - ذهبوا رحمهم الله حيث انتهوا تحت أطباق الثرى - بأعمالهم وما قدموا، كأمس مضى وانتهى، وكان هناك على جانبه الشرقي، الحلاق الحسني وكان الوحيد في المدينة المنورة، وترامى الكتاب المعنيون بشؤون أهل البلد على جانبي الشارع بينما قعدت النسوة في طرف قهوة النقاوي.



ساحة باب المصري ملتقى أهل المدينة قديماً وأمامه سبيل شجرة الدروبلاذ
العيني قبل هدم السور

العادات الجميلة

وعلى معلم والطبولة يبعن القُرْب المدبوغة بالعرن لحفظ الماء وهي من جلد الماعز وبجانبيها حبال صوف تسمى الدبارة، والحساكل التي تقوم مقام المحفظة والاقلاص، وبعض ما ينسجن من صوف الماعز كالأخرجة والأبسطة الصغيرة، وقد أخذ السمكرية أماكنهم في شارع السيدة فاطمة، وبائعو العسل في الجانب الجنوبي منه لقد كانت المدينة المنورة تزخر بالتراث القديم مما تحفظه حوانيتهم كالسيوف والرماح والدروع، وقد شاهدت بـدكان محمود صباغ في سوق الحراج درعاً سابغاً بخوذته ورفادته وهو عبارة عن ثوب من الحديد المنخل لا تنفذ إلى لابسـه عند طعنه، الـابرة، اشتراه بخمسة عشر ريالاً.

وبعض الموسرين ممن سافر إلى مصر وتركيا والشام في عهد السلطان عبد المجيد العثماني جاء بصندوق مكرفون له سماعة كالمحقن الكبير ثبت في أسفلها إبرة ماسية ثبتت على خطوط في صحون سوداء بلاستيكية تدور بأغانٍ مسجلة عليها لمطربي ذلك العهد، مثل المغني «سلامة حجازي» و«سيد درويش»، و«منيرة المهدية»، وعبد الله فضالا، وعبد اللطيف الكويتي وغيرهم، وعندما كان يستعمله مالكة كان يقفل أبواب الدار ويسد كل فجوة وثقب ويضعه في ركن بآخر القاعة. فيذهب حديث الكثير ممن عهدوا فيه الزهد والورع وربما راح في ورطة لا تغتفر له.

وليس بمستغرب إذا قلت لك إن أهل المدينة المنورة - رغم الحاجة - أبواب دورهم مشرعة ومجالسهم مفتوحة لكل ضيف أو غريب قصدهم، وفي أيام الأعياد أيضاً، لكل من أتاهم مهناً بالعيدين.

والمدينة المنورة مع كل هذا قد انتشرت في غير ناحية فيها «الكتاتيب لتعليم الأطفال مبادئ الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن» ففي شارع العنبرية، - في موضع

مصرف الراجحي اليوم - كان كُتَّاب فضيلة الشيخ حامد، رحمه الله، قد اعتلى كوبري مسيل أبوجيدة وتحت القبة الواقعة غرب «المناخة» بين حوش كرباش، ومحلة الطيار، «كُتَّاب الشيخ محمد» و «القشاشي»، في منحدر حوش درج، «كُتَّاب القشاشي» وفي الحرم النبوي الشريف في أكثر من موضع، فيه علماء أجلاء لنشر العلم والمعرفة، وقد تخرج على أيديهم علماء وكتاب ومؤرخون وشعراء انتفع بعلمهم الكثير.

في أيام الجداد والحصاد

وتعود أهل المدينة المنورة عند حلول جداد التمر أخذ كمية منه ووضعها في أوعية خاصة بعد أن يرش عليه السمسم المحموس والقرطم والزعترووضعه في الشمس ثلاثة أيام ليمتزج به الدبس ثم بعدها يحفظ طيلة السنة فيأكلون منه كل يوم، وفي رمضان حتى حلول العام القادم. وفي موسم البامية، والملوخية، والبصل، والتوم، والحَب، والشعير، والدخن، والعسل، والسمن، والخطب، والفحم، أما الخضروات الصيفية كالبدنجان ينشف بعد أن يضعوا الملح فيه ثم يسحق أو يهش وللمحذقات جانب كبير من اهتمامهم فيصنعون من الجزر والليمون الأخضر ورؤوس اللفت والقنء والخيار، بعد مزج الخل به، طرشي ويضعوه في مرطبان من الفخار بعد وضع الملح والماء بقدر عليه .

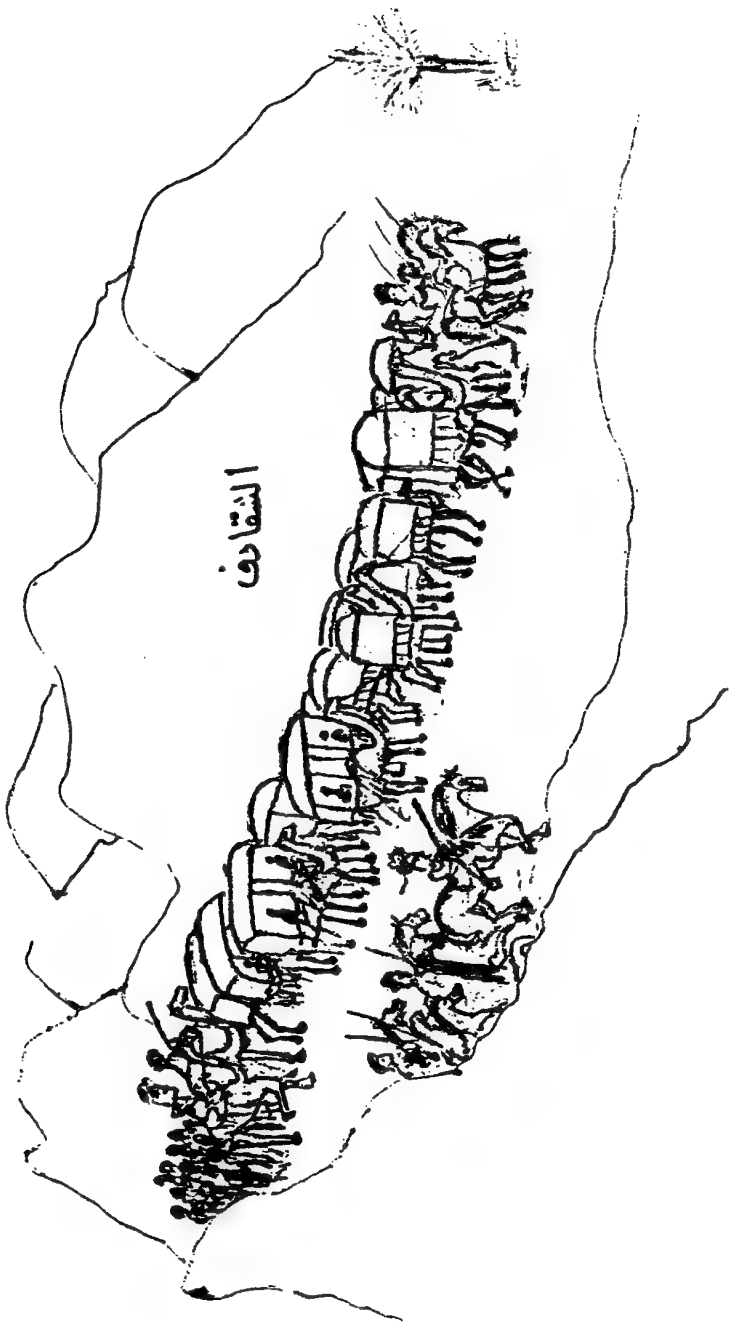
أما البامية «الويكة» والملوخية والنعناع المدني والمغربي فتتشف ثم تسحق وتخل وتحفظ للحاجة. أما القرع «الدبة» فتقشر ثم تقطع إلى أوصال ثم يضاف إليها الهيل والقرفة والقرنفل وتغمر بعد طبخها قليلاً بالشيرة لحفظها كمربى عند الحاجة. ومن عاداتهم الحلوة، رش منازلهم وأبوابها بماء البئر بعد وضع دقة الفحم ورماد الكوانين ومزجها بالطين أمام ساحة مدخل الدار وفي الأسياح لتثبيت الطين الصنجاوي فتري مسطبة متماسكة طيلة السنة حتى انها تبرد المكان.

ما وراء المدينة المنورة

أما ماء الشرب فيحضره السقاة من مناهل العين الزرقاء المترامية في غير ناحية في المدينة المنورة كعين الرجال، وعين الحريم الواقعتين بجوار مسجد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، ومنهل باب السلام، ومنهل حارة الأغوات، ومنهل الساحة، ومنهل، الزكي حريم ورجال، ومنهل الفائض جوار الداوودية، ومنهل الفائض الثاني جوار محطة الزغبية والعين الزرقاء قام بإنشائها مروان بن الحكم الأموي، جاء بها من منابعها فمن حرة «شوران» (١) في قباء وعمل لها دبلأ أي «مجرأ» حتى ادخلها المدينة المنورة وجعل لها المناهل المذكورة لسقيا سكانها ثم جعل لها فتحات لدخول الهواء إليها.

وعمل مجرى آخر يسمى المالح أيضاً من قباء حيث سلط عليه فائض المناهل ينتهي مجرى الفائض في محلة البركة وهو شمالي حي الأزهر، خلف جبل «باجل» غربي «يثرب» ثم خصص لها خداماً ينظفون مجراها ويخرجون الشوائب منه: مازلت أذكر عدة بيوتات منها وتسميتها «بالزرقاء» لزرقه في عيني منشئها مروان ابن الحكم الأموي، يملأ السقاة قريهم، بدرهم أوعيتهم منها ويفرغون ما يحملون من ماء في دور عملانهم الدائبين من السكان ومن ليس له عميل متفق معه يدور بها في شوارع وأزقة الحوارى منادياً «مويه» «مويه» وكان معظمهم من البادية وبعضهم من المهاجرين الفقراء.

(١) من العمالقة بني لطف، بني منازل في قلبها وماله في أسفل سيل بطحان ويدعى شوران بن مياييل: قيل انه اخ يثرب بن مياييل.



أما الشنان فهو مادة لغسيل حوائجهم وأوعيتهم فهي عشبة تنبت في مسيل المدينة المنورة تسحق كالدقيق يجمعها بعض التجار ثم تباع لربات البيوت فتقوم المرأة بوضعه في كيس خاص أو جرة من الفخار فتأخذ منه بمغراف صغير جعل خصيصاً له طلبها وهو في ذلك العصر يقوم مقام التايد والصابون وقد عرضه الباعة أمام دكاكينهم بصحون كبيرة وسط دكاكين ساحة الباب المصري وقد اعتاد بعض الأفارقة، المنادة عنه في الأزقة والحواري، بجانب بيعهم للبقايب ومكانس القش وزيت الاضاءة والشمع.

ولأهل المدينة المنورة في ذلك العصر جلسات ترويح واستجمام وندوات تثقيف وإدراك فكان بعضهم يذهب إلى البساتين حيث يقضون نهارهم في دواوينها الخضراء، وتحت كروم الأعناب وأغصان الأشجار يقصون القصص والنوادر ويغنون وينشدون الأشعار الحكيمة في الحماسة، والغزل ويرونها عن فلان وفلان ويترنم حاديهم بما يخلج القلب ويدخل البهجة على أنفس مستمعيه ويبقون في مجالسهم على ضوء القمر يوماً وثلاثة، وهم حريصون على أداء الفروض والسنن في أوقاتها جماعة حتى في ليالي وظهاري سمرهم وأنسهم، والحقيقة تقول عنهم زهاد في الليل عمال في النهار.

وضعها المشرف

فهي لم تكن مدينة صناعية بل عاش أهلها على غرس النخيل وما تنتجه مزارعهم من حبوب لا تسد رمقهم، وعلى أيجار دورهم في مواسم الحج والزيارة، وكونها الدرة الثانية في قبة الإسلام بعد البيت الحرام اشتهرت بصنع «القلل» والمكانس والقفف والخصف، والاسرة المصنوعة من جريد النخيل، وفي كل عام عندما يغدو المسلمون للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقاذفهم (١) وركوبهم يستبشر أهلها بالخير الذي سينالونه من صلتهم بهم فينال الفقير من

(١) الشقاذف الهوداج.

الزوارنفة بروعطف وقد يحصل بعض سكانها على الأقمشة الهندية المسماة الساري وعلى الطباقي المصرية والسورية وعلى العزوات الحلبية والبرانيس المغربية، ان المدني في ذلك العصر كان موضع حنان وعطف الوافدين من الحجاج، والزوار لشظافة القوت، وهو مع فاقتة القاتلة وحوجته الشديدة عزيز النفس، أبي ذوارحية ومكانة عصامي لا يمد يده إلا لله عز وجل لو أمطرت أيادي الحجيج ذهباً وفضة تمشياً مع قوله تعالى (ولو كان بهم خصاصة) ولكن الفقر والحاجة أطاحت بعمم الأعداء قاتل الله الفقر،

أيام الربيع

فالمدينة بفضل الله في تلك الأيام راهية زاهية بالأمطار في كل يوم والسيول تتجارى في أوديتها الثلاثة العقيق . ووادي بطحان، ومسيل وادي القرى المسمى بمسيل سيدنا حمزة رضي الله عنه، وقد شمل الربيع ضواحيها والجبال المتاخمة لها فترى «جبل احد» المحدود بها و «جبل وعيرة» وغيره والأصفرين وقريضة وما وراء جبال البيضاء والفرشة ومعناه وجبال عين طوالة والصويدة شرقاً وغرباً حمراء فل وضلع «للى» وورقان والفقرة وريم والشلايل والآب وجبال صبح وأدقس وصوري بوادي النقيب، قد غشاها العشب والكلا قد تموجت أغصانه الخضراء فوق صخورها الملساء البركانية وقد نعم الحلال من الماعز والضأن والجمال والخيول والبغال بهذه النعمة التي حباها الله المدينة المنورة وضواحيها، مما جعل سكانها من العشائر الواقعة قراها في ضواحيها ينعمون باللبن الوافر والجبن والسمن والاقط المضير المصبر وقد اعطت جبالهم النحل زهوراً متنوعة من البشام والحواء والحميض والفرشنج مما اتخذها القادرون خشباً من جذوع الأشجار ليأوي إليها النحل ثم يجنون من إيوانه لها العسل، حتى انه قيل إن قد العسل بيع في سوق المدينة المنورة بمجدي ونصف مجدي في عام ٩٨٥ وعام ١١١١هـ أما السمن فالبدرسعة ١٥/ك بمجدي ونصف ورؤوس الجبن كل خمسة رؤوس بمجدي وكيس الضير ما وزنه ١٥ اقة بمجدي.

الأعيان من أهلها

تتمتع بالأعيان المتصلعين في علوم الفقه وأصول الحديث وعلم الفرائض بجانب الخطابة «المغلقة والنثر البديع المرسل مع الأدب الرفيع النادر» ففي عام ٩٢٥هـ الذي قضى فيه السلطان سليم العثماني الأول على آخر خليفة لدولة المماليك البحرية في مصر كانت المدينة المنورة تزخرويعج مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وهم كثر ذكر صاحب مخطوط تحفة الأعيان: كان منهم الشيخ محمد السندي المولود في المدينة المنورة عام ٨٧٠هـ كان حجة في الحديث وقد خلفه أولاده وأحفاده الذين نهجوا في العلم طريقته وذكر الإمام محمد المقدسي في مخطوطه تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر أن من أحفاده: حمزة بن الشيخ إبراهيم فيض الله بن شمس الدين بن إبراهيم بن محمد السندي وهو ذو فهم ثاقب وعلم وسيع وقاد، وذكر منهم العالم الجليل أسعد بن محمد بن عبد الرحمن، الجد الخامس لسيد محمد أسعد، ومنهم أبو بكر الاسكداري جد السيد اسعد. وهو خطيب وعالم جليل استفاد منه الكثير في الفقه الحنفي وكان واحد عصره وفريد دهره وفضيلة العالم البري الجد السابع لآل البري لقد كان خطيباً وعالمًا جليلاً تلقى علومه من الشيخ السندي ومنهم الإمام محمد الموسوي العلوي وكان شاعراً بليغاً ونحويّاً ضليعاً ومن شعره في التخميس الذي قاله في عام ٩٨١هـ هذه المقطوعة كما سجلها رامز شكري في تحفة الأعيان.

إن ينكروا عيني لشخصك أن ترى أويحبوا عني خيالك في الكرى
يا من بدهشته تحيرت الورى زدني بفرط الحب فيك تحيرى
وارحم حشى بلظى هواك تسعري

ومنهم شاعر المدينة الفريد المولود في عام ٩٨٧هـ الشيخ علي بن عامر المزني
ومن شعره:

وتركي له في الخد خال كمسك فوق كافور ندي
تحير ناظري لما رآه فقال الخال صلي على النبي
فقال أبي حنيفة لي اماماً يرى أن لا زكاة على الصبي
وإن تك شافعي أو ممن يرى برأي المالكي
فلا تطلب زكاة الحسن مني فأخراج الزكاة على الوصي
فقلت إذا امتنعت على قسراً أخذناها برأي الحنبلي
وكان رحمه الله تعالى خفيف الظل دمث الخلق أديباً لامعاً في عصره كان كثير
الترحال والأسفار إلى استنبول مقر السلطنة آنذاك وقد مدح السلطان مراد الأول
بقصيدة أورد فيها هذه الأبيات:

لما رأيت الغانيات تسبرهم خدامهم من بايزيد لسربهم
تذكرت جيراناً حلت بأرضهم إياك والأتراك واعلم أنهم
أجساد غزلان وقلب أسود

ومن شعره:

خطرت فازرت بالسنان الأسمر وبت فرحنا للكواكب نذري
خود تخال الخال في وجناتها فدهشت بين مؤنث ومذكري
وبشعرها الليل الطويل وخدها الفردوس والارياق نهر الكوثر
فيها الهوى يحلو ومدحي يعتلي للأنور بن الأنور بن الأنوري

ومنهم العالم الجليل عبد العزيز بن محمود بن عبد السلام بن محمد الكوراني
بجانب علمه، خطيب مغلق له مقامات جميلة في النثر سارت في طريق تصنيفها
على طريقة «المقامات الحيرية» دونها في مخطوط نادر.

ومنهم : الشيخ سليمان بن محمد العلوي : المولود في المدينة المنورة في عام سنة ٩٩٠هـ كان فقيهاً ندياً تخرج على يديه الكثير في العلم والمعرفة وكان الوحيد في علم الفرائض وتقسيم «الموارث» على المذهب الحنفي وله حلقة كبيرة في المسجد النبوي الشريف غشاها الكثير من طلاب هذا العلم الذي أعطاه الله سره . والسيد محمد بن السيد محمد بن السيد يوسف معصوم أحد فقهاء المرموقين وهو حجة في علم اللسان . كما قيل .

وللحديث رجال يعرفون به وللدواوين كتاب وحساب

قد بسط شرح بلوغ المرام للحافظ بن حجر العسقلاني وكان راوية في علم أصول الحديث : لم يسبقه فيه أحد ومنهم الإمام الأوحـد السيد عبد الكريم السمهودي المؤرخ المشهور في القرن الثاني عشر : والشيخ عبد السلام بن شرف الدين بن رسول . كان عالماً في علم المنطق وأصوله الثلاثة وقد سلك في نثره طريقة البديع الهمداني قد تضلع في علم الحديث وشرح صحيح مسلم وله مواقف جلى خدم فيها المدينة المنورة وأهلها عند ولاية بني عثمان وسلطينهم : لأنه رحمه الله تعالى سعى بتوقيف بعض الأراضي الزراعية في قونية ، ومدينة ، أفيون في تركيا ، باسم أهالي المدينة المنورة ، تحمل حبوبها وما تنتج من زبيب وفول وعدس من استنبول حتى تصل إلى الرايس في ينبع البحر ثم تحمل على جمال يحرسها ثلة من جنود الدولة حتى تصل بها إلى المدينة المنورة ثم توزع على أهل المدينة المنورة بالسوية ، وقد توفاه الله ودفن في البقيع بجوار مدفن شهداء الحرة وكان لوفاته أثر في نفوس الكثير من سكان هذا البلد الطيب .

بيوتات المدينة المنورة

ما بين ١١١٥ - ١٣٢٣ هـ و ١٣٦٥ هـ

في سنوات احتضار الدولة العباسية وفي آخر أيام خلافتها المتسلسلة الزاهرة وفي أيام تقطع مملكتها الوسيعة إلى ولاية مستقلين الحمدانيون في الشام والجزيرة، المماليك البحرية في مصر والسودان واليمن الأخضر والسلاجقة، والبويهية في الشرق الجنوبي والشمالى والأتراك في الشمال وفي الجنوب عشائر وأمراء القوي منهم يأكل الضعيف وفي الحجاز الشريف بركات بن شكر وأحفاده، وفي إفريقيا ملوك قطعوها إلى دويلات. ففي عام ٥٨٦ هـ كانوا بقايا أحفاد التابعين من أبناء الأنصار والمهاجرين من قريش وغيرهم ممن بقوا ثابتين فيها على أملاك من نزحوا قديماً في الفتوحات الإسلامية، ومن عادوا إليها بعد أن توحدت كلمة الله وانتشر الإسلام في سائر المعمورة حتى مشارق الصين والنهر الأصفر، ترامت بيوتهم داخل سورها العظيم، في سقيفة الأمير وشمال سقيفة بني ساعدة خارج شيخ النمل وزقاق سيدنا عبدالله وزقاق سيدنا مالك رضي الله عنه وفي حي الساحة وحوش المرزوقي وحوش الرمادي، وزقاق عانقني، وزقاق الحبس والشونة ومقعد بني حسين وباب الحمام ودوران وحارة الأغوات وكلها شملها مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف التي قامت بها حكومة المملكة العربية السعودية أيدها الله، وبدأ عام ٦٠٠ هـ فقدم في بحرته بعض المهاجرين من شمال العراق، ومما وراء جبال «الأورال» وسيبيريا، وبلاد بخارى ومدن فرغانة، وطاشكند، ومرغلان واندجان وما وراء بلاد النهر، ومن المغرب والهند وإفريقيا والحجاز واليمن وحضرموت فأقاموا بيوتات عرفت بهم فيها السيد الخطيب والعالم الفضل المجتهد وقد توالدوا وتناسلوا وقد اتصل بعضهم ببعض بالرحم والتصقت أسرهم بالتزاوج، حيث أصبحت المدينة المنورة وطنهم الثاني عوضاً عن منتزحهم الأول فاشترؤا

الدور والأراضي والبساتين من أحفاد أولئك الذين تركوها بأيدي من بقوا فيها من عام ٥٨٦ هـ وهم مع تملكهم وطول إقامتهم ومع تناسلهم المستمر كل عام ومع وفرة النقود التي جاء بها جدودهم خلال سنوات إقامتهم، أصبحوا يملكون الكثير من الدور، مما كان منتشراً في محلاتها السالفة ومما هو خارج السور من أراضي وأحوشة، وقد حبسوا معظمها حسبما تدل عليه مستمسكاتها (١) الشرعية والعرفية، و«قفا» مشاعاً على عقبهم، وقد أقاموا مع ذلك الأربطة لسكنى فقراء المسلمين منهم ومن غيرهم عامة ووضعوا أسبلة للماء العذب، وخصصوا جزءاً من رائج وقفهم لقراءة المصحف الشريف يومياً في الروضة وعمل اللائم صدقة لله تعالى على الفقراء وصدقات توزع على فقراء المدينة المنورة كل عام، وما برحت تلك الوقوف والأمالك تتداول بأيدي البقية الباقية من أحفادهم حتى اليوم.

وما برحت الهجرة مستمرة حتى في أواخر دولة المماليك البحرية فقد هاجروا إليها من حلب والشام والأنبار والموصل ونصيبين وهيت وعانة من غرب العراق، قد أسسوا دوراً داخل سورها وجددوا ما حازته أيديهم بطريق الشراء عرفت بها أسرهم التي فيها حسبما ذكرت انفاً العالم والمحدث والخطيب المغلق وقد تولى بعضهم التدريس في الحرم النبوي الشريف والبعض تولى القضاء والبعض الخطابة والبعض الأذان وقد جرت حسبما ذكر دماؤهم بينهم ممزوجة بدماء من سبقهم حتى عام ٩٢٥ هـ وهي السنة التي انتهت فيها حكم المماليك على مصر عندما قضى على حكمهم السلطان سليم العثماني. في خلال هذا العام قدمت مائة وتسعون أسرة معظمهم من مصر والمغرب وتونس والروملي والبلقان ومن قرى تركيا وديار بكر والقامشلي وكلهم كان آباؤهم مع حملة السلطان الغازي سليم، وعندما

(١) المستمسك الصكوك الشرعية بعرف اليوم.

استقروا بنوا الدور والمكان واحضروا عوائلهم وكان معظمهم اتخذ من الدرويشة - وصياده - وبرغوته وهي حدائق خارج السور الشمالي منازل لهم، وفي عام ١١١٥ هـ في عهد السلطان مصطفى بن محمد العثماني نشبت فتنة بين أغوات الحرم وبعض قبائل حرب عندما قتل فيها كابوس وكبيسة الفانزي العمري الحربي من أهالي وادي الفرع، اغلق المسجد النبوي الشريف ومنعت الصلاة فيه «ستين يوماً» وقد خف لذلك شريف مكة المكرمة مسعود بن محمد وقضى بمساعدة أمراء عشائر بني سالم ومسروح وقوفه ومالك من جهينة على الفتنة وسلمت دية القتيلين وبالرغم من كل هذا فالهجرة متواصلة، حتى غصت بالمهاجرين الدور خلف السور فاضطرت بعض الأسر ممن يملكون الأحوشة خارج السور الاغتناء عن حدائقهم في غرب وشرق وشمال وجنوب السور، فحكروا أراضيها على من يرغب شراء موقع بيت فيها والبعض قسمها إلى قطع وباعها على المهاجرين.

الأحوشة تصبغ دورا للمهاجرين

وأصبحت تلك الأحوشة (١) التي كانت منتزها للأسر الساكنين خلف السور من المهاجرين القدامى، تغص بالدور والأرقة وقد تعددت تلك الأحوشة التي اطلق عليها أسماء ملاكها القدامى «مثل كريباش» وحوش خير الله وزقاق جعفر وأحوشته، حوش القايد، وحوش اللكيع.

(١) الأحوشة كانت حدائق لسكان داخل السور.

ورزاق الطيار وأحوشته «حوش المغربي»، وحوش هتيم وحوش السمان. وحوش المجزرة القديمة. وحوش شمسية، وحوش الورد وحوش سكر وحوش نبيه وحوش شلبية، وحوش قمر وحوش الجربي وحوش الشناقطة وحوش الوقف، وحوش درج، وحوش الغبثاشي وحوش الفاطس، وطوطو، والمغربي والعبيد والعريضة، وحوش خميس والسيد والتاجوري نسبة للعالم الجليل الشيخ صالح التاجوري والكاتبية لآل السنوسي والبربرورية - والأحمدية .

هدم بلاد العيني

ما برحت تلك الأحوشة عليك وضعها في العصر التركي وعصر الشريف والتي اجتاحت بعضها في عام ١٢٢٢ هـ مشروع السلطان عبد الحميد عندما بدأ بإدخال الخط الحديدي وهدم بلاد السيد العيني بعد أن هدم جزءاً من سور المدينة المنورة الغربي مما يلي المناخة، وجعله شارعاً ممتداً حتى عتبة باب السلام للمسجد النبوي الشريف، وقد ذكر الذين أدركوا فتح العينية في زمن كان الجوع ضرب الرقم القياسي في المدينة المنورة وقد شغل فخري باشا والي المدينة المنورة، العذاري بنقل الأتربة والحجارة والجريد في مشروع الشارع مقابل قرص عيش يصرف لهن من قرن الميري خلف مسجد الغمامة في موضع عمارة الخريجي أو سوق الخريجي اليوم. وقد تمكن من تمديد قضبان الحديد عليه حتى يمر القطار منه إلى حيث الحرم. وما برحت تلك الأحوشة والدور فيها قائمة بذاتها أهلة بالسكان منذ العصر التركي والشريفي وعصرنا الزاهر السعودي، وعندما شملت المدينة المنورة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (يد النهضة العمرانية الحديثة واغتناماً للأجر ادخلت جميع الدور والأحوشة مما كان يحتضنه السور القديم من حواير ومحلات ضمن مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف وزيادة في تجميل المنطقة فقد قررت لجنة طبية إزالة جميع الدور القديمة مما كان داخل محيط الحلقة الأولى

المحيطة بالحرم النبوي الشريف وبناء عمائر ومغالق وساحات وميادين حديثة توسعة للمسجد وتهيئة لزوار المسجد الشريف.

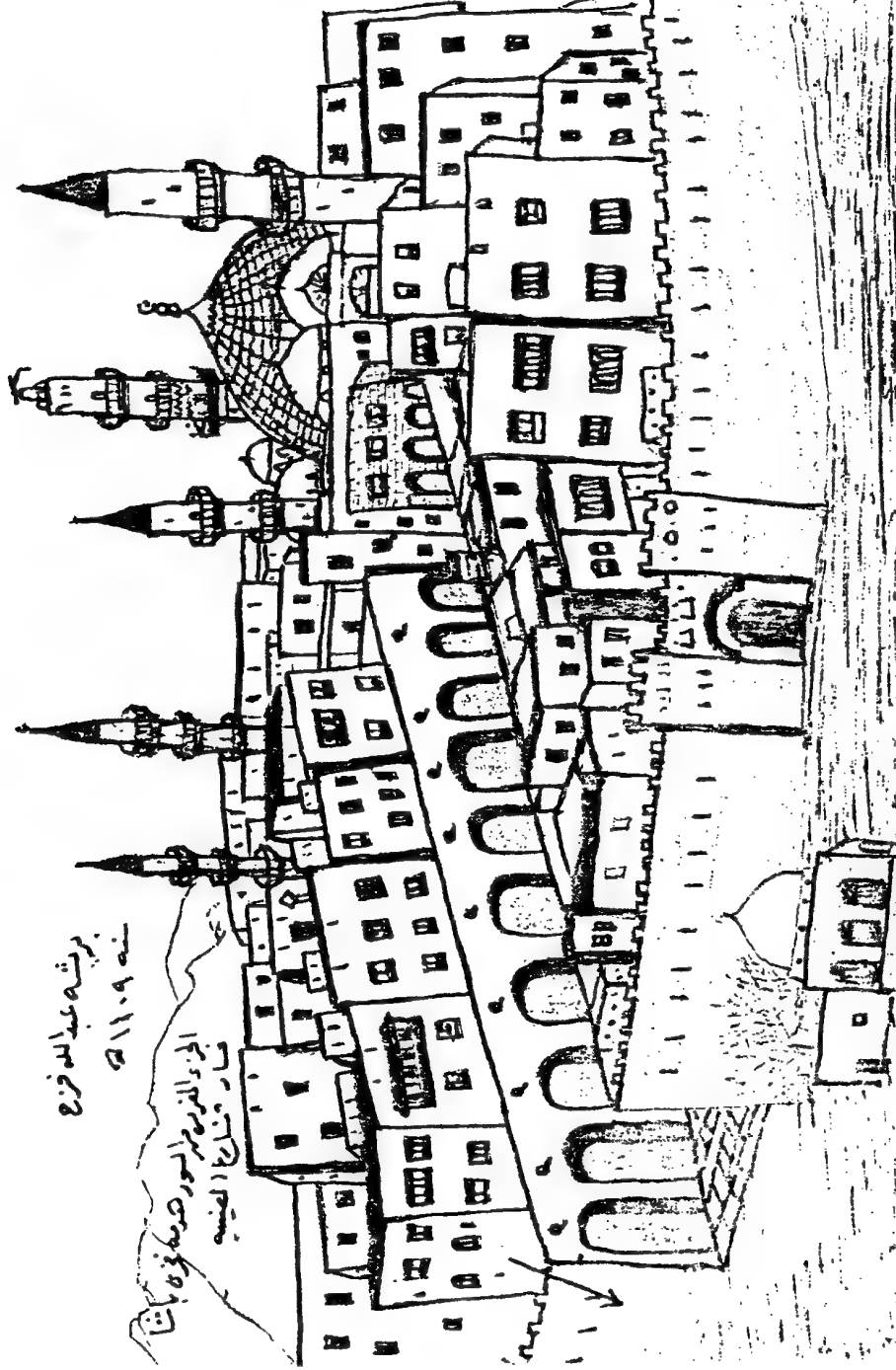
أما في عام ١٣٢٠هـ شملت المدينة المنورة مجاعة شديدة اودت بحياة الكثير من سكانها الذين وجد معظمهم وأطفالهم موتى في الدور وفي الشوارع وفي الأزقة، وهذا الأمر هو الذي حمل الوالي التركي فخري باشا (١) بتسفير ما بقي من الأسر إحياء إلى تركيا وحلب ودمشق لينعموا بوفرة العيش هناك، وعندما بدأ عصر الشريف، لم يطرأ جديد بل لم تزل الحالة على وضعها حتى بدأ عصر مؤسس الحكومة العربية السعودية الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه، فأخذت دورها في التجديد ووفرة العيش والتقدم في جميع المرافق والاستقرار المقرون بالعدل والأمن فزهت وسمت.

صدقة يونس والمبرة السعودية

أسس الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه في المدينة، خارج باب الشامى في البلاد الداوودية، شرقي عين الزكي «تكية» يطبخ فيها الجريش الصافي ممزوج باللحم الطري ويوزع على أهالي المدينة المنورة بجانب «التكية المصرية» التي أنشأها خديوي مصرفي شارع باب العنبرية لهذا الغرض وما أن تولت الحكومة السعودية الحكم إلا وأنت الأرزاق في الحرب العالمية الثانية للأهالي بحيث أصبح كل شيء في متناول يد المواطن الذي أصبح منعماً، أضف إلى ذلك مبرة الخبز اليومي الذي وزعته على الأسر فيها غنياً وفقيراً على مستوى المملكة العربية السعودية عاماً حتى أصبحوا ينعمون بوفرة العيش الذي حرم منه الكثير من أهم مدن العالم وذلك بفضل من الله حفظها الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

(١) فخري والي المدينة في عهد السلطان عبدالحميد العثمان .

(٢) يونس صاحب فكرة المبرة.



برشته عبدالعزیز

سنہ ۱۱۰۹ھ

شارع خواجه الفیض
الجزء الثانی من السورۃ مدثرہ

موقف الحكومة العربية السعودية من أهلها

ومع هذا العطف الذي حظي به المواطن في المملكة العربية السعودية فقد امنت له المسكن بما يستتر به عائلته وعلاجه، وصرف الدواء بالمجان وتقديم القروض والمساعدات الشاملة في غذائه وما يستهلكه من مرافق عامة دون أن تجنى فائدة من ذلك وتعليم أولاده وبناته وصرف الدفاتر وحملهم بالمواصلات بالمجان بجانب الأمن، والعدل الذي ندر في سواها، مع تسهيل كلما ينشده مواطنها عند تخرجه من حقول العلم وتوظيفه وصرف مرتب مغرياً من به ما تنشده أسرته، فهذه النعمة التي ينعم بها الفرد والمجموعة ممن أظله أديم الجزيرة العربية السعودية يجب الشكر لله عليها بأن هيأها الله تحت قيادة وتوجيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، حفظه الله للعباد والبلاد.

حبست حسبما ذكرت أنفا الحكومة العثمانية، والحكومة المصرية في عهود خالية بعض الأراضي وقفاً على الحرمين الشريفين في استنبول وصعيد مصر، وكانت تزرع بالحبوب وعند حصادها تحمل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وتوزع تلك الحبوب من حنطة وأرز وفول وعدس، على السكان في البلدين الطاهرتين، لقد ذكر الشيخ علي كردي أن نصيب كل فرد من السكان أردب والأردب ألف كيلو من الحب وغيره.

الأيادي البيضاء، التي قدمت لعوائلها

البر والإحسان طوال العلم ^(١)

آل القصيبي

وقد عوض الله هذه البلاد تحت ظل قائدها الرشيد عن صدقة يونس الضمان الاجتماعي والدور التي جعلت خصيصاً لرعاية العجزة والمحتاجين من الفقراء وكانت وزارة الشؤون الاجتماعية، لم تتوان في القيام بتوفير كل ما ينشده المعسرون ممن أقعدهم العجز والحاجة، بجانب قيامها بالخدمات الكثيرة التي أغنت من يممها عن السؤال والحاجة.

ولا أنسى دور صندوق البر وما قدمه لأسرها الفقيرة في المدينة المنورة من عطف وعون ملموس في هذا العصر الزاهر.

قليل في الأثر، الجالب إليها كالمصدق عليها، فكيف بتلك الأيدي الخفية التي ما برحت تواسي فقيرها وتجبر كسيرها وقد غمرت اليتيم بعطفها وبرها حتى أنسته اليتيم بما وفرت له من عطف وإحسان وواست الأرملة بما أعانها على صروف الأيام والليالي وكففتها الحاجة والفاقة وسددت عن المعسر والمديون دينه فنام قريح العين بين أطفاله تردد شفاه لسان قلبه بالدعاء المتواصل لتلك الأيدي الكريمة التي كفكت من دموع أطفاله، وكم متضايق في سكنه قامت، بتأمين إيجار سكنه ومن أصبح دخله لا يفي بمتطلبات ظروف عائلته واسته بما فرج كربته وكم مطالب ضاقت بوجهه السبل لقلّة ما بيده كانت له بعد الله المعين، لقد غمرت بعطفها وبرها وإحسانها الشامل بعد الله ذوي الحاجات ومن وقف الزمان في وجهه وضافت حالته

(١) اليد البيضاء أولئك الذين بروا بإحسانهم بيوتات محتاجة إلى العطف بالمدينة المنورة.

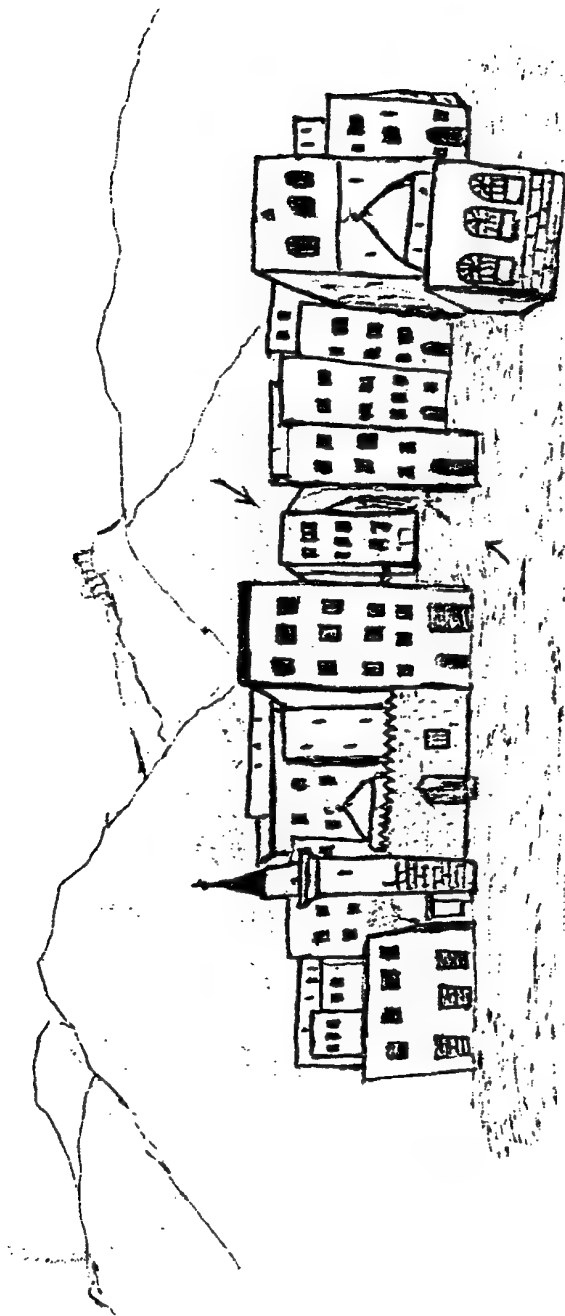
في مدن المنطقة الشرقية حتى فاض نائلها على بيوتات المدينة المنورة في رمضان من كل عام وفي أيام السنة، حتى أصبحت تلك الأيادي الكريمة ترتل له الدعوات في كل لحظة في المدينة المنورة وفي المنطقة الشرقية وكم لتلك الأيادي البيضاء من بر يعجز القلم عن حصره في عهد خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين، لقد أقامت المساجد وأعانت حفظة كتاب الله وجبرت قلوب من قصدها بعد الله وفتحت أبواب دارها هناك مشرعة لمن يغشاها من ذوى الحاجات ليلاً ونهاراً: أقولها عنها حقيقة أسجلها لله لا رياءً وإنما تمشي مع القول الذي قال (الخبر باق) أتدري قارئ العزيز لمن تلك الأيادي التي ضربت الرقيم الكبير في الإحسان والعطف، إنها أيادي لأسرة تتمتع بالخلق والحكمة والطيبة والرحمة إنها أيادي المشايخ:

أحمد وعبد العزيز وسليمان أبناء المرحوم الشيخ حمد القصيبي أمد الله لنا بحياتهم وجعلهم في ظل هذا العهد الزاهر ذخراً وأملاً لكل قاصد أمين في المنطقة الشرقية وفي الغربية عامة يتمتع آل حمد بالصدق والوفاء والحلم وما قيل عنهم في هذا الكتاب لا يفي بمعشار ما قدموه في سبيل الله جعله الله نورا في صحائفهم.

من حببوا على أهلها

إن كل من قدّم لهذا البلد الكريم من محاسن وأيادٍ لا يحرم من عقد التراث ففي جده رجال قدموا للمدينة المنورة وأهلها من المواساة والإحسان الكثير منهم الشيخ صالح عبد الله كامل فجزاه الله عن أهلها خير الجزاء وأثابه على عطفه وإحسانه المستمر للمحتاجين من أسرها الفقيرة كما أن هناك بعض المحسنين الذين أولوا أهلها من برهم ما كفاهم مشقة الحج وكانوا لهم سداد من عوز في المدينة المنورة.

فالمدينة المنورة لا تخلو من الأسر الفقيرة التي تحتاج إلى يد العون والمساعدة شأن كل مدينة فيها اليتيم والأرملة والعاجز وكما ذكرت في مستهل كتابي لا يمدون يداً إلا الله تعالى رغم الحاجة الماسة (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف لا يسألون الناس إلحافاً) عصاميون أعزاء تعرف الحاجة في وجوههم يصبرون على القليل والكثير وهم كثر، لقد واست الجمعيات الخيرية في المدينة المنورة من ثبت لديها عوزه وحاجته: بسداد دينه أو إيجار منزله، وخصصت مرتباً شهرياً لبعضهم ولكن بقي من لا يستطيع أن يتقدم بإثبات ذلك لعزة نفسه: صابراً على ما قسمه الله له. وقد لفت نظر المحسنين فمدوا أياديهم الحانية كما ذكرت إليهم في رمضان وفي كل عام على طوال أشهر السنة بما سترحوجتهم والحكومة السعودية أيدها الله سهلت لكل محتاج منهم الضمان لمن يثبت إحقيقته بعد البحث عن حاله.



زقاق الطيار سكنى أم المدنيين ويرى في الصورة مسجد الإمام علي رضي الله عنه
وقبة المناخة (كتاب الشيخ حامد)

المقاهم النواصرة

من الأسر العريقة في القدم بيت النواصرة، وجدهم محمد بن عبدالله النواصر، من أبناء جعفر الصادق، تولى أحفاده بوابة العرب في المدينة المنورة في عهد ولاية الأتراك من عام ١٢١٢ بعد آل الطيار وما برحت بوابة العرب تنتقل فيهم حتى وصلت إلى السيد الكريم أبي بكر ناصر ثم في عهد فخري باشا وصبري باشا وعثمان باشا عندما كان حكم المدينة المنورة تحت أيديهم تولى أمرها المكرم ذياب بن أبوبكر ناصر، وكان لذياب مواقف جديرة بالاهتمام في عام ١٣١٥هـ فهو الأمير المفوض، بين قبائل العرب المحيطين بالمدينة المنورة، وكان المقدم عنهم والمتكلم باسمهم لدى ولاية الترك فبيده تقدم الصرة لأمرائهم وعشائريهم وعن طريقه تحل المنازعات القبلية وعن طريقه يحف المحملين الشامي والمصري انذاك بالأمن من تعدي المتطرفين من الأعراب، ولنواصرة تاريخ حافل في القرن الثامن ذكر عنهم المقدسي في مخطوطه الكوثر الجامع كما ذكر بإسهاب عنهم رامي شكرى في كتابه تحفة الأعيان مخطوط بأن لهم أيادي كثيرة في خدمة المدينة المنورة إبان السلطان مراد والسلطان سليمان القانوني، وهم يتمتعون بخلق وحلم وروية، أطال الله لنا بحياة أحفادهم فهد وعلي وسلطان وعميدهم عمر ناصرو أولاده الآن، أطال الله لنا بحياتهم.

أم خلف .. أم المدنيين

هي سعدية بنت أحمد بن محمد بن عبيدان الشمري المولودة في المدينة المنورة عام ١٢٩٥هـ والمتوفاة في عام ١٤٠٤هـ لقد عاشت أم خلف قرناً وكسور أي كان ولادتها في زمن السلطان محمود العثماني ووفاتها في عهد الملك خالد بن

عبد العزيز آل سعود حيث دفنت بالبقيع رحمة الله عليها لقد لقبت بأُم المدنيين لكثرة ترضيعها لأطفال بيوتات المدينة المنورة كانت تتمتع بحكمة وبلاغة خارقة حفظت القرآن الكريم جميعه عن ظهر قلب كما حفظت كتاب بلوغ المرام للحافظ بن حجر العسقلاني، وتبحرت في شرحه سبل السلام، وحفظت صحيح البخاري وشيئاً من صحيح مسلم ومسند الخزاعي وكانت تجيد الشعر وعلم المنطق عالمة بأصول الحديث فقيهة في السنن والآداب ضليعة بعلم اللسان حافظة لتاريخ المدينة المنورة ومن هاجر من بيوتاتها، ملمة بمن أنتزح يفضي محل سكنها في عام ١٢٢٠هـ ولاية الأتراك كعثمان باشا وصبري باشا وفخري باشا، وحتى قضاة المدينة كالسيد محمد أسعد آل أسعد وذياب ناصرو آل الطيار وعميدهم عبد العزيز طيار للاستفادة بعلمها وكانت امرأة مباركة متوكله على الله سبحانه وتعالى، رهبت ورغبت إلى توحيد الله عز وجل وكانت سلفية العقيدة امرأة نادرة بما أتاها الله من العلم والمعرفة وإبلاغ الحجة وسرعة البديهة وكانت مع هذا متضلعة بعلم الفرائض والحساب بالرمل وكانت شاعرة حسبما ذكرت ومن شعرها الظريف في ابتهاج تناجي ربها جل وعلا وكانت أمها حليلة بنت أحمد لببية ومن شعرها: ^(١)

يا ربي مالي غير بابك موئل وبساح لطفك يا إلهي أنزل
إن كان يمنعي الرضي بخطيئتي فجميل عفوك للمسيء الموئل
فلقد علمت بأن عفوك شامل للمحسنين ومن أسأؤوا وأغفلوا
ولقد عفوت وقد سترت تكرماً ما كان مني وما رسمه الأول
ادخلني في كنف الرضاء وأمدني بالعفو إني من ذنوبي أخجل

(١) في عصر فخري تدرشت عندما علمت بوفاة ابنائها الثلاث في بعض الحروب.

لكن رحمتك العظيمة أوسعت منذ الخليقة من عليك توكلوا
يا رب عفواً إن أقنط فيضها وأنا على هدي النبي مستبسل
صلى عليه الله ما شاع الضحى وهى على الجرداء ودقا مرسل

وفي عهد الأشراف عندما انتقلت لدارها في وقف آل البرزنجي بحوش المغربي
بزقاق الطيار زارها الشريف شحات بن علي ومحمد بن منصور وذياب ناصر وكانت
في العهد السعودي، تمشط نساء أمير المدينة المنورة ابن إبراهيم وقد أرضعت
ابنه إبراهيم مع ولد محمد بن فرج وأحمد، وفي عهد الأمير عبد الله السديري كانت
لها صلة قوية بآل بيته، تتمتع أم خلف بخفة الدم ودمائة الخلق مع علمها وسعة
اطلاعها وتضلعتها بالعلوم والمعارف قد ألفت لها بنات يضربن بالطبول في حال
وقوع الأفراح بها لزواج أو في الطهار وهي الشبيخة التي ذكرت في الزفة وفي
الملكة.

توفيت رحمة الله عليها بعد عمر طويل، وهي شديدة العود قوية البنية بعد أن
تركت لنا من خلفها ذخيرة في العلم والأدب وحتى في الشبيخة وبناتها رحمها الله،
ومع كل هذا كانت ذات فراسة قوية واستخارة موفقة، من شعرها:

تردد صوته في مسمعي فحل بروحي وفي أضلعي
جرى بين طي للعروق ورق فأحرمني مضجعي
فكان لعينايا الضياء وما ضمه العقل مما إعي
اناجيه مناجاة الكلیم وإن جن لي لي أراه معي
فيا نسمة الحب والوفاء ويا نغمة الأمل المشبعي
ويا روعي هذا الحبيب بدا وهذا مقامه فاستمتعي

فلا يعرف أم خلف ومحاسنها إلا كبار السن أسألوا أجدادكم عنها تركت ثلاثة أولاد وبنثاً، وأولادها اليوم أجداد لأحفاد حفظهم الله، وقد تلتق العلم في أصول الحديث على السيد محمد البرزنجي والسيد أحمد السندي.

في عام ١٣١٩ هـ توسطت عندما زارها فخري باشا، مع الشيخ ذياب ناصر بكف الأذى عن استشفاف بني علي في حربته للعوالي، وقطع الجيش التركي نخيلها أو التعدي على النساء والأطفال وقد استجاب لرغبتها.

وقد رأى الجرماوي والطويل وبادي وأحمد السمان من مقادير العوالي وملاكها موقفها المجيد، فزاروها وقد اعتادت نساء بيوتات المدينة المنورة زيارتها في كل وقت لأنها «طبيبة عربية» وأعرف من يكون بما يطلبه النساء منها في حال علاجهن، وكانت خبيرة في علم انقلاب السرة والجنبنة والظلال وأم ذيل وفي الولادة كانت جدة للكثير وكانت كريمة اليد مضيافة كما قال الشاعر:

كأن آدم وصى بعد موته بأن تكون عليها الناس أضيافاً
ساعدت الفقير وتبنت اليتيم وآوت الأرملة المنقطع وأعانت المظلوم وزودت
المسافر.. كثيرة الصوم والصلاة والنوافل وقراءة القرآن والصلاة دوماً على رسول
الله صلى الله عليه وسلم كثيرة الخوف من الله، قالت في آخر حياتها: من جعل الله
نصب عينيه في كل أعماله واتقاه في السر والعلن أمن من عقابه، ومن قولها: من
سلك طريق الرسول العظيم واتخذ في حياته السلم الذي امتطى درجاته إلى
حقيقة الإيمان، أصاب المرمى.

أقدم العوائل فيما

من سنة ٩٢٥ - ١١١٥ هـ - ١٣٢٢ هـ

قال السيد هاشم برزنجي رحمه الله: إن سكان المدينة المنورة في سنة ٩٢٥ هـ كانوا مائة وخمسين ألف نسمة، وذلك في عهد السلطان سليمان العثماني وقد زاد عددهم في عهد سليم الثاني وعهد السلطان مراد حتى عام ١١١٥ هـ للقرن الثاني عشر من الهجرة الشريفة وبلغوا في عهد السلطان مصطفى بن محمد بن مراد العثماني إلى حدود مئتين وخمسين ألف نسمة، ومع كثرة التوالد والتناسل وهجرة المتخلفين في أيام الحجاج بلغ تعدادهم إلى ثلاثمائة وخمسين ألف نسمة، وفي عام ١٢١٩ هـ في عهد نصر باشا الوالي التركي وفخري باشا في اليوم الذي وصل به القطار الحديدي من الشام سنة ١٢٢٢ هـ ازداد عدد المهاجرين إليها من الشام وقراه والأردن وقراه، وتركيا ومدنها إلى ٥٦٠ ألف نسمة، انتزح منهم في المجاعة ٣٢٠ ومات في المدينة وسط الدور والأزقة والخرائب ما يربو على ثمانية آلاف نسمة وعاد في عهد الشريف في سنة ١٢٣٩ هـ ممن انتزح منها إلى ينبع البحر وجدة ومكة والأردن والشام والطائف ونجد وحائل والقصيم عشرة آلاف نسمة بمحارمهم وأطفالهم وأحفادهم وعند تسليم المدينة المنورة للأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود في عام ١٣٤٤ هـ ذكر السيد عباس بن علي جمال الليل (١) رحمه الله: إن المحتسب السمان والشيخ ذياب بن أبي بكر ناصرو السيد حمزة

(١) السيد عباس جمال الليل يتمتع بالأدب والاطلاع الواسع بجانب أنه مدعى في الحرم النبوي الشريف وهو ذو صوت حسن شجي ومن الأسر العريقة في المدينة المنورة كثير الأسفار عليم بتاريخ المدينة المنورة وقد عاش بعضها وهو من الثقات الأفاضل رحمه الله ودفن في البقيع في المدينة المنورة.

غوث حصروا تعداد سكانها إلى عدد ٧٥٠ ألف نسمة، تبلغ آنذاك البيوتات العريقة فيها ٥٠٪ خمسين في المائة وما بقي من أساس العدد الاجمالي فمن المهاجرين يدخل في تعدادهم في المائة ٣٥٪ التركستاني والتركي والمغربي والهندي والعراقي والأفريقي والمصري واليميني وغيرهم الكثير. وما برح المسلمون يغدون إليها لينعموا في ظل هذا العهد الزاهر، ومع توالدهم المستمر حسبما ذكره لي السيد عباس رحمه الله بلغ مجموع سكانها مع من انتزح إليها من الأعراب المتأخمين لها من البادية مليون ومئتين نسمة.

قبائل العرب في ضواحيها

في سنة ١٤٠٩هـ

وكانت القبائل المحيطة بضواحيها، بني سالم المروحي والميموني ومسروح العوفي والعطري أي بني عمرو، وقوفة ومالك من جهينة وعنزة وبلق وبعض الحويطات وبني رشيد والعوازم، وبني علي خاصة، قد تركوا عيشة البادية عندما عم النماء فيها في ظل الحكومة العربية السعودية وفتحت المدارس وراجت المشاريع والتجارة في المدينة المنورة وهموا الذين أمضوا حياتهم على ما ترك لهم الآباء والأجداد من خشب النخل، ونخل الكعيكات والرياض العثرية في قراهم الواقعة في جبال الفقرة وفي الشرجة، والسديرة، وطاشا، وآلاب، وفي الخيوف الواقعة على مسيل الحسنية، كخيف الحزامي، وخيف أم ذيان، ووادي الصفراء، وفي جبال صبح، والشفية، وبئر الغنم، وأم البرك، وبدر، ورحقان، وضبوعة، وحررة، والسدارة، وريم، والحقة، والشلايل، ووادي النقيع، وأرقس، وصوري، والفرع، وضيوقة، المضيق، وأم العيال، والريان، والحجرية، وصفينة، وديار مخلف خضرة، والأكل، والحد الفاصل بين قبائل حرب، وقبائل مطير، وحسو علياء، وقوزا، والكسر، وبلغة، والتعازي، والهمج، والصويدرة، والحناكية، ومنازل بني عمر، ومنازل العوازم، من خشم البيضاء والفرشة، وممناه، وديار بني رشيد من عين، مهلهل وعين طوالة، واللحن، والصلصلة، وجبل شمدو، والمغطية، وحلب، وخماخم، حتى ديار الرموش في الحرة، والسليلة، وجهينة الهيجة، وصيخان، والمربع، والعيص، والملقاه، والأجرد، وقبر رحمة، حتى شجعوه، وغربي البوير، وديار ولد

محمد، وبعضاً من عنزه، فيما اعتنق وادي العلا، ووادي الخنق (قد الحقوا ابناهم في مدارسها) يواصلون تعليمهم، وقد تخرجوا بفضل الله والتحق معظمهم في خدمة الدولة، في الجندية والبعض في الأعمال المدنية، أما أسرهم فقد استقر بعضهم في ناحيتي المدينة المنورة الغربية والشرقية حيث بنوا المنازل الحديثة التي ساعدتهم على بنائها صندوق التنمية العقاري، وراح بعضهم يعمل في التجارة وفتح المعارض لبيع السيارات وفتح المؤسسات على اختلاف أنواعها، ليؤمنوا العيش في الحاضرة لأولادهم وقد يسرت الحكومة العربية السعودية أيدها الله لهم نعمة الاستقرار وذلك أمامهم كل صعب في سبيل حياة أفضل وقد كان لهم ما أرادوا، تنمية لمرافقهم العامة على اختلافها وتعدد مشاربها وأنواعها فلا ينكر حينئذ إذا قلنا قد بلغ عددهم مع هذه الطفرة الكريمة «مليون ومئتين ألف نسمة» وهذا العدد مع توالدهم والمقيمين فيها في ازدياد مستمر يدل على أكثر مما حصر في عام ١١٠٩ هـ تقريباً.

ومع كل هذه النعمة التي أسبغها الله عليها ما برحت تتمتع بالاستقرار والأمن والرخاء والشرع أبوابه مشرعة (١) لكل مظلمة والعدل ساوٍ بين القوي والضعيف والمساجد عامرة بالمصلين والوعي شمل الكبير والصغير ووسائل الاعلام صحافة وتلفاز وإذاعة وضعت بين أعينهم آفاقاً جديدة للعمل والنماء (٢) في حدود الشريعة السمحاء، وهذا كله يعود بفضل من الله ثم بفضل من خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين والنائب الثاني والأسرة المالكة حفظهم الله للبلاد والعباد حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

(١) مشرعة: أي مفتوحة لاستقبال شكاوى أصحاب الحقوق.

(٢) النماء: الازدهار.

علماء الحديث والفقه والأدب

من سنة ١٠١٠ هـ إلى سنة ١٣٣٩ هـ

لا يفوتني أن أذكر أعيانها من العلماء والفقهاء والخطباء والأدباء الذين خدموا الشريعة في حدود الكتاب المقدس والسنة السمحاء وهم أهل بيوتات معلومة محصور عددها وقد سبق كلامي عن بعضهم بإيجاز في هذه الرسالة والآن أحدد لك أسماءهم وفاء لما قدموه من خير لهذا البلد الطيب وجهود مفيدة عبر تراثها الخالد. قال الشيخ أبو محمد المقدسي في مخطوطه تراجم أعيان المدينة في القرن الثاني عشر.

إن علي أفندي بن إبراهيم أفندي قدم المدينة المنورة سنة ١٠٧٨ هـ من شروان مدينة من نواحي «دربند» ببلاد فارس كان عالماً ورعاً وزاهداً تولى تعليم المناسك للحجاج وله مصنفات توفي سنة ١١١٨ هـ ودفن بالبقيع.

ويوسف أفندي بن إبراهيم أفندي تولى رئاسة الإمام الأعظم في فقه أبي حنيفة وتولى القضاء في المدينة المنورة سنة ١١٢٢ هـ توفي عام ١١٣٤ هـ ومنهم محمد أفندي بن علي أفندي الإمام الواعظ بالروضة المطهرة وُلد في المدينة المنورة سنة ١١١٢ هـ وتولى الإفتاء في المدينة المنورة توفي سنة ١١٧٩ هـ ومنهم علي أفندي بن محمد أفندي تولى رئاسة علماء الحنفية وُلد في المدينة المنورة عام ١١٣٤ هـ وتوفي بها سنة ١٢٠٠ هـ ومنهم الخطيب تاج الدين بن محمد الياس وُلد سنة ١٠٥٢ هـ كان فاضلاً أديباً تولى القضاء بالمدينة المنورة وله نظم ونثر توفي سنة ١١٢٦ هـ والخطيب أبو الفتح بن الخطيب محمد الياس وُلد في المدينة المنورة سنة ١٠٥٥ هـ كان شيخاً للخطباء الأئمة كان عظيم الهيئة

توفي سنة ١١٣٥ هـ والخطيب خير الدين بن تاج الدين بن محمد الياس المولود سنة ١٠٨٦ هـ كان مؤلفاً وله فتاوى فقهية وشعر رصين جيد توفي سنة ١١٢٧ هـ في رمضان، والخطيب أحمد إبراهيم بن الخطيب أحمد البري وُلد سنة ١٠٥٠ هـ كان فاضلاً عالماً أديباً وشاعراً لبقاً متكلماً وله الفتاوى البرية توفي سنة ١١٣٠ هـ وقد تخرج من هذا البيت علماء وخطباء وشعراء انتفعت بهم المدينة المنورة، والسيد أسعد بن أبي بكر الاسكدراني الذي سبق حديثي عنه وُلد بالمدينة المنورة سنة ١٠٥٠ هـ تولى الإفتاء سنة ١١١٦ هـ والسيد محمد أسعد المولود سنة ١٠٩٥ هـ وتوفي سنة ١١٤٣ هـ والسيد عبد الله أسعد المولود سنة ١٠٩٥ هـ والمتوفى سنة ١١٨٠ هـ والسيد عبد المحسن أسعد المولود سنة ١١٢٨ هـ والمتوفى سنة ١١١٨ هـ والسيد محمد أسعد الصغير المولود في سنة ١١٤٤ هـ والمتوفى سنة ١١٩٩ هـ ولأل أسعد أيادٍ كثيرة في نشر العلم وهو أكثر السيد عمر السمهودي المولود سنة ١٠٨٥ هـ والمتوفى سنة ١١٥٧ هـ والسيد عبد الكريم السمهودي المولود سنة ١١٠٨ هـ والمتوفى سنة ١١٩٣ هـ ولهذا البيت مزايا كثيرة في العلم تخرج منه العلماء ومؤرخو المدينة المنورة والفقهاء، وبيت الشيخ محمد بن سليمان الكردي عميد آل كردي وُلد بدمشق سنة ١١٢٥ هـ وتوفي سنة ١١٩٤ هـ بالمدينة المنورة كان عالماً انتهت إليه رئاسة فقه الإمام الشافعي والشيخ محمد بن محمد الطيب الفاسي قدم إلى المدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ والشيخ أبو الحسن محمد بن صادق السندي وُلد بقرية تبعد عن ملتان أربعين فرسخاً قدم المدينة المنورة في سنة ١١٢٥ هـ كان من رجال العلم في الحديث توفي بالمدينة المنورة سنة ١١٨٧ هـ والشيخ إبراهيم بن عبد الله الفرزي الحنبلي وُلد بالمدينة المنورة في سنة ١١٣٤ هـ وتوفي بها في سنة ١١٩٣ هـ كان إماماً في علم الفرائض، ومنهم الشيخ مير ملا شيخ بن مير اسماعيل الأزبكي المولود سنة ١١٢٤ هـ والمتوفى سنة ١١٧٥ هـ والسيد مولاي

محمد بن أبي القاسم الفيلاي المولود بالمغرب سنة ١١٢٤ هـ والشيخ محمد حياة السندي والخطيب أبوبكر محمد أبي الجود الحميدان والسيد أحمد بن السيد يحيى الأزهرى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ بالطائف والسيد حسن بن أحمد البخاري والخطيب عبد الكريم بن عبد الله الخليفتي العباسي ومحمد بن عبد الله الخليفتي وعبد الله بن عبد الكريم الخليفتي العباسي / والشيخ محمد الدقاق المغربي الفاسي عميد آل الدقاق قدم إلى المدينة المنورة سنة ١١٤٢ هـ وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١١٥٨ هـ وكان شاعراً ومحققاً فاضلاً ومنهم السيد علي بن السيد حسن البرزنجي والشيخ فيض الله الداغستاني والشيخ أحمد بن محمد الغلام والسيد مشيخ باعبود العلوي المتوفى ١١٧٠ هـ في المدينة المنورة والشيخ محمد بن عبد الكريم بن حسن السمان المولود بالمدينة المنورة سنة ١١١٣ هـ كان فاضلاً وهو عميد آل السمان، والسيد محمد بن السيد حسين الجفري العلوي والشيخ محمد أبو الطاهر الكوراني وإبراهيم بن محمد الكوراني والشيخ عبد الرحمن بن محمد طوله: عميد أسرة الطولة والشيخ جودة بن محمد بن عمر جودة والشيخ محمد الطائفي عميد آل الطائفي ومحمد بن رسول البرزنجي والسيد عبد الكريم بن محمد رسول البرزنجي المقتول في جدة عام ١١١٥ هـ عندما جرت فتنة الأغوات مع الأعراب في المدينة المنورة، وفي العهد السعودي الشيخ عمر حمدان والطبيب التمبكتي والشيخ حسن الشاعر والشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ أحمد التكنية السوداني والشيخ عبد الرحمن الإفريقي والشيخ عمر برى انتهى علمهم في مخطوطات ما برحت تزخر بها مكتبات العالم، نفعت الكثير.

شعراؤها وأدباؤها

ما بين سنة ١١١٥ هـ إلى سنة ١٤٠٩ هـ

منهم السيد البيتي القائل من ضمن قصيدة طويلة يمدح فيها المدينة المنورة في عام ١٣٠٠ هـ وهي تنوف عن ثلاثين بيتاً اقتطف منها هذين البيتين.

عن در مبسمها عن دمع أشجاني عن الشقيق كذا عن خدها القاني
عن المحيا عن البدر المنير وعن سود الغدائر عن ليلات أشجاني
إلى أن قال:

يا للهوى لسويعات مضت بقاء وللعوالي بقلبي وخزمراني
ومنهم السيد الاسكوبي القائل / في قصيدة طويلة
دار الهدى خف منك الربع والسكن وأستفرغت جهدها في أرضك المجن
عفى المصلى فمن سلمع إلى أحد إلى قباء الذي يحلوه السجن
وعلي عامر المتوفى في سنة ١١٣٥ هـ بالمدينة المنورة:

تهدى الأضاحي بيوم النحر شامسة ومهجتي نحرت في ساح حبكم
لم يبق منه سوى جسدٍ تلاعبه ريح الصبا إذا ما مر ذكركم
لا أوحش الله قلباً أنت ساكنه ولا مقاماً يردد فيه اسمكم
عودوا وجودوا وحنوا والطفوا كرمأ بنظرة منكم اني دخيلكم

وظاهر بن سالم المزني ومحمد العامر الرميح رحمه الله القائل:
يا نجمة في سماء الحسن طالعة نفسي عليك ولكن أين منك يدي
أحدي يدايا إلى عليك أرفعها مستعطفاً ويدي الأخرى على كبدي
وقلت في عام ١٣٩٥ هـ:

الله أكبر هذا المسجد العطر وهذه القبة الخضراء تزدهر
وهذه الروضة الغناء قد ظهرت من جنة الخلد لا هم ولا كدر
هذا البقيع وذا أحد بجانبه يزهب بإيمانه والخلد ينتظر
هذي الربوع التي كان الحبيب بها يرمى القلوب فترعاه فتذكر

وقد أظلم سجايف العهد السعودي أدامه الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها
شعراء أفذاذ مجددين، أذكر منهم الشيخ عبد الرحمن الرفعة والشيخ عبد القدوس
الأنصاري، والحافظين علي وعثمان وعبد الرحمن صالح وعبد الحق نقشبندي
وضياء الدين رجب وعبيد وأمين مدني، ومن شعراء الحداثة والأتزان الأستاذ
محمد هاشم رشيد وعبد السلام حافظ، والخطراوي والصيرفي والنعمان والحليت،
زخرت مكاتبنا بعبائهم المستمر حفظهم الله لخدمة العلم وأهله في هذا البلد
الطيب.

قارني العزيز بعد أن قطعنا شوطاً طويلاً عن تراثنا في المدينة وعن علمائها
وفقهاؤها وأدبائها وشعرائها نعود مرة أخرى إلى أهل المدينة عبر تراثها الخالد.

فأهل المدينة المنورة، أهل صدق ووفاء وأصحاب ثقة وأدب حافظون للأمانة
وهم ذوو مروءة وكرم وتواضع وحلم [يَقْدَرُ الصغير الكبير ويحترمه] تعرف الرحمة
في قلوبهم لا يعرفون الكبر ولا الغطرسة ولا رفع الصوت إلا فيما يرضي الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم يخافون عقاب الله ويرجون ثوابه.

المدينة المنورة بوجه عام

والمدينة المنورة على صغر حجمها وكبير قدرها يضم سورها حسبما ذكرت حواريها المحدودة ما برحت تقل غرفها العديدة أسراً عريقة في القِدَم من القرن السابع بجانب المهاجرين إليها من أنحاء العالم قد بلغ تعدادهم حسبما ذكر آنفاً مائة وخمسين ألف نسمة، قال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المقدسي في مخطوطه الكوثر الجامع صحيفة ١٦٤ : وبلغ عدد سكانها في القرن السابع مئة وخمسين نسمة بين الرجال والنساء والأطفال عدا ما كان خارج السور من عشائر النخالة، الوثشة، الهاجوج، والرومي، والأصيصي، والحربي والفلسة والداودي والزيري وملائكة والمعاريف، والحدايدة والعصارية، وهم كثر، والبادية المحيطة بها المروحي والميموني، والعوفي والعطري وهم عشائر وخصل من قبائل حرب وجهينة وبلى والحويطات وبني رشيد.

وقد أيد المقدسي المؤرخ العثماني [رامز شكري] صاحب مخطوطة تحفة الأعيان وحكم آل عثمان المجلد الأول صحيفة ١٢٠ بدأ بالمدينة المنورة من سنة ٩٢٥ هـ فقال: احتضنت دور المدينة المنورة داخل سورها بسكن العالم والخطيب والريس والأديب والشاعرو قد أيد بعض المؤرخين ما ذكره رامز شكري في مخطوطه والذي حدد أقدم بيت فيها بعد التابعين من الأنصار والمهاجرين، بيت أشرف بني حسين الشقادمة وآل حيار، ومساكنهم ما برحت، على انقاض دار سكيئة بنت الحسين بن علي، شرق وغرب، الشونة، وبيت الأنصاري والخزرج، وأبو الجود، والنواصرة، الذي عميدهم أبو بكر ناصرباب عرب المدينة المنورة، بعد آل الطيار وبيت البالي وبيت أسعد، وبيوت علمائها الذين تقدم ذكرهم، وآل هاشم وآل

البرزنجي وآل السمان وآل أفندي وجعفر وفي القرن السادس ظهرت بيوت كبيت آل حافظ وبيت القممجي وبيت الخاشقجي وبيت الرقة وبيت عسيلان وبيت الكردي وآل الطيار وبيت الاسكوبي والسيد البيتي والرفاعي والعناني والموافي والغتابي والكشميري وبيت معصوم وبيت الخربوطي وآل خشيم والبوق والمزيني والحربي. وفي القرن الحادي عشر بيت زيدان والصعيد والسقاف ومشيج وجمل الليل والدمشقي والحلي والسندي وهم أكثرهم ذكرًا رامزي مخطوطه (١) الوسيط أن البيوت التي أدركت عوائلها القرن السابع والسادس والخامس. خمسة عشر بيتاً، حددهم في مخطوطه، وشرح عنها تفصيلاً مسهباً وعن أملاكها داخل السور وخارجه، وقد ذكر صاحب الكوثر الجامع في القرن السابع تفصيلاً عن البيوتات القديمة وافياً ولم يغب عنه اختلاط الأسر بالأسر عن طريق التزاوج وامتزاج الدم بالدم ولا تخلو مكتبات المدينة المنورة من المخطوطات النادرة المتنزة (٢) التي حصر مؤلفوها سكان المدينة المنورة ما بين القرن الثامن والعاشر حتى الثاني عشر، وأهمها تاريخ السمهودي الذي يضع النقط على أقدم أسرة فيها أما قريمية الأنصاري، فقد كشف الغطاء بخلاف ما جاء به صاحب تحفة الأعيان والكوثر الجامع وكلا المخطوطين أعطيا للمدينة المنورة وأهلها حقهما، كتب بالخط الديواني والثلاث حصر مؤلفاهما، ما ضمه سورها القديم من بيوتات ثابتة، وما كان خارجها من الأعراب حتى انهما لم ينسيا عشائر النخالة حسبما ذكرت وحددا فيها القبيلة الأصلية من الأعراب من قبائل حرب وحضلها والبطون التي تحدت منها وعن لزمتها وعن قبائل العلاقة فيها وعن العشائر المنتزحة منها في شرق الجزيرة وفي

(١) رامز شكري مؤرخ كبير مخطوطه تحفة الأعيان.

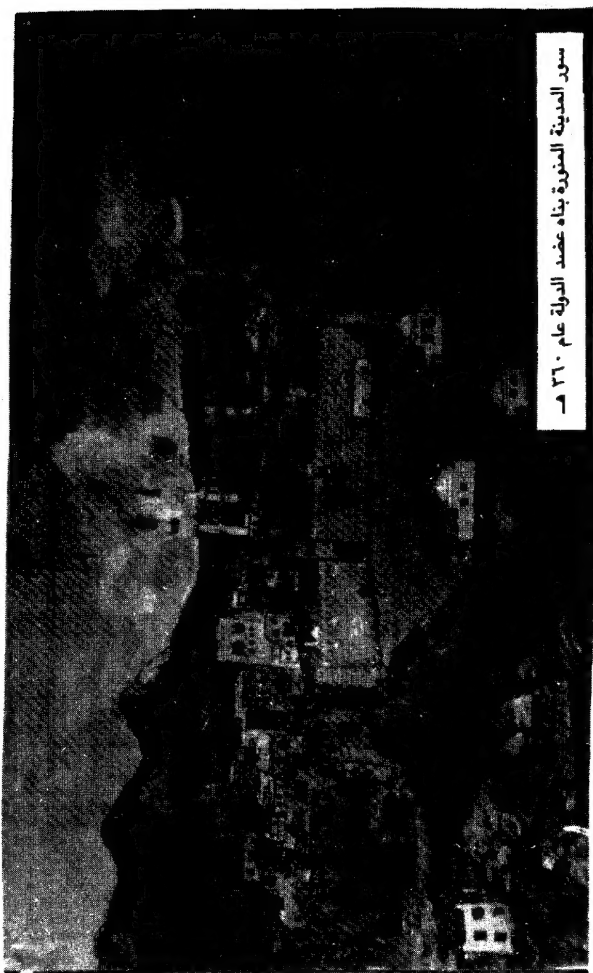
(٢) المتنزة أي المعتدلة التي لا تجرح كرامة تأتي بالمحاسن دون المساويء.

الشام والأردن والعراق والهند ومصر والمغرب والسودان وأفريقيا وأهم أسهابه
الكتابة عن عشائر الحجاز ونجد، وفصلاً فيهما عن البيوتات الأصلية، في نجد بدءاً
بعتيبة ومطير وحرب وجهينة والحويطات وبلى وعنزة وعن امرائهم في القرن الثامن
وعن عوائدهم وعن السادة الأشراف المندمجين مع القبائل لظروف طارئة وهما
بحق دائرتا معارف عن التاريخ من القرن السابع حتى ظهور السلطان عبد المجيد،
وبهذا القدر اكتفي بما أوردته عن تراثنا الخالد عن المدينة المنورة راجياً من الله
القبول وأرجو العفو من قارئه عما صدر مني فيه من خطأ لغوي أو نحوي أو لفظي،
وعدم وقوفي عند رغبته وعن اغفالي عن كل ما لم أقف عليه والله وراء القصد،
وصلّى الله على سيدنا محمد .

المصادر

- مخطوط الكوثر الجامع للمقدسي
- مخطوط تحفة الأعيان لرامز شكري
- كتاب تاريخ المدينة المنورة للأنصاري
- كتاب تراجم أعيان المدينة المنورة / تعليق محمد التونجي
- شاهد عيان / السيد هاشم برزنجي
- السيد عباس علي جمال الليل
- الشيخ ابراهيم الصباغ
- السيد عبدالرحمن عيسى العلوى

سور المدينة المنورة بناء عند الدولة عام ٣٦٠ هـ





منظر للحرم النبوي الشريف في بداية القرن الرابع عشر



سور المدينة المنورة سنة ١٣٣٠ هـ



صورة قديمة لأحد الأسواق بالمدينة المنورة



شارع العينية (قديمًا) بالمدينة المنورة

الفهرست

٣٨	الاسواق والحراج	١١	حالة المدينة المنورة اليومية
٤١	العداءات الجميلة	١١	في المنزل والسوق
٤٢	ايام الجداد والحصاد	١٢	حالة المدينة المنورة المعمارية
٤٣	ما وراء المدينة المنورة	١٤	حالتها الاجتماعية سنة ١٢٥٠ هـ
٤٥	وضعها المشرف	١٦	ملابس الرجال والنساء
٤٦	ايام الربيع	١٧	الزواج
٤٧	الاعيان من اهلها	١٨	عرض الشبكة
٥٠	بيوتات المدينة المنورة	١٩	ليلة الدخلة
٥٢	الاحوشة تصبح دوراً	٢٠	خروج الفرائش
٥٣	هدم بلاد العيني	٢١	يوم الحناء والتتيف
٥٤	صدقة يونس والمبرة السعودية	٢١	البيت الجديد
	موقف الحكومة العربية السعودية	٢٢	العروس في بيت الزوج
٥٦	من اهلها	٢٤	الصباحة
٥٧	الاينادي البيضاء - آل القصيبي	٢٥	المرأة المدنية ربة بيت
٥٨	من عطفوا على اهلها	٢٧	مراوح الخصف
٦١	النواصرة	٢٨	المجالس وحياتها اليومية
٦١	ام خلف ام المدنيين	٢٩	ادائها لفريضة الحج
٦٥	اقدم العوائل فيها	٣٠	الركب
٦٧	قبائل العرب في ضواحيها	٣٤	ختم القرآن والختان والتسمية
٦٩	علماء الحديث والفقه والادب	٣٤	تسمية المولود
٧٢	شعراؤها وادبائها	٣٥	عادات الاطفال
٧٥	المدينة المنورة بوجه علم	٣٦	البائعات في السوق
٧٨	المصادر	٣٧	شم التسميم عند أهل المدينة المنورة